بلاغة المفارقة في أشعار المقتنيات في ثمار القلوب للثعالبي

إعداد

د/ صابر محمد السيد جويلي

أستاذ النقد والبلاغة المساعد بقسم اللغة العربية-

آداب الإسكندرية

بلاغة المفارقة في أشعار المقتنيات في ثمار القلوب للثعالبي

صابر محمد السيد جويلي
قسم النقد والبلاغة المساعد بقسم اللغة العربية-آداب الإسكندرية
البريد الجامعي: saber. geweely@alexu. edu. eg

الملخص:

دراسة المفارقة من الدراسات والآليات البلاغية والنقدية الجديدة نوعًا في تحليل النصوص الأدبية تحليلاً متعمقًا، غايته استكشاف مستويات الأداء في تلك النصوص، ومحاولة الوصول إلى أعماقها، حيث يكمن خطاب الكاتب، أو المعنى الذي يريد إيصاله للمتلقين.

والمفارقة ظاهرة فكرية وفنية أسلوبية لا تخطئها العين في الأدب العربي القديم عامة، وفي الشعر منه خاصة، ولها فيه دواعيها، ووظائفها البلاغية المهمة. وقد التفت الباحثون إلى هذا، وأقبلوا على رصده وتحليل جانب منه في العقود الثلاثة الأخيرة، ومع هذا بقيت موضوعات لم تُدْرَس، وجوانب من هذه الظاهرة لم تلقَ ما هي جديرة به من العناية.

وهذا البحث يحاول أن يُسهم في سد هذه الثغرة، عبر دراسة بلاغة المفارقة فيما سمَّاه الباحث أشعار المقتنيات في كتاب ثمار القلوب للثعالبي؛ ولهذا الاختيار ما يبرره؛ مما يمثله هذا الضرب من الشعر من تجديد في موضوعات الأدب العربي، كان له صداه في تطور هذا الأدب من بعد، في العصر العباسي، وفي العصر الحديث أيضًا. ثم إن الباحث استشعر حين قرأ هذه الأشعار جميعًا أن المفارقة كانت فيها مقصودةً متعمدةً، وأنها كانت موظفة لأداء رسائل فنية وبلاغية معينة، وأن لهذا أثره الواضح في بناء هذه المقطَّعات شكلاً ومضمونًا. وقد أغرى هذا بدراسةٍ تحاول تتبع هذه المسألة وسبر أغوارها، وفق منهج وصفيٍّ تحليليّ، قائم على اختيار عينة عمدية، يرى الباحث أنها تمثل مجتمع البحث تمثيلاً دقيقًا.

ويشمل البحث مقدمة، فيها حديث عن دواعي البحث، ومنهجه، وأقسامه، وتساؤلاته، والدراسات السابقة. وأربعة مباحث: أولها عن المفارقة لغةً واصطلاحًا، والثاني موضوعه أنواع المفارقة، أمَّا الثالث فيتناول بنية المفارقة(أركانها وأدواتها)، والمبحث الرابع في غايات المفارقة ووظائفها . ثم تأتي الخاتمة، وبها نتائج البحث وتوصياته، قبل قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية : المفارقة–ثمار القلوب–الثعالبي–أشعار المقتنيات–المفارقة اللفظية–مفارقة النقش الغائر–مفارقة الموقف–المفارقة الدرامية–مفارقة التنافر البسيط–مفارقة الأحداث.

The eloquence of irony in the poetry of holdings in Thamar al-Qulub by al-Thalaabi

Saber Mohamed El-Sayed Gouili
Assistant Department of Criticism and Rhetoric, Department of Arabic Language - Alexandria Arts University mail: saber. geweely@alexu. edu. eg

Abstract :
A study of the Irony of the new rhetorical and critical studies and mechanisms in an in-depth analysis of literary texts, the aim of which is to explore the levels of performance in those texts, and try to reach their depths, where the writer's discourse lies, or the meaning he wants to convey to the recipients.

Irony is an unmistakable intellectual and artistic stylistic phenomenon in Arabic literature in the

Abbasid era in general, and in poetry in particular, and it has its reasons and important rhetorical functions. Researchers have paid attention to this, and have begun to monitor it and analyses a part of it in the last three decades, yet despite this, topics remain that have not been studied, and aspects of this phenomenon have not received the attention they deserve. This research tries to contribute to bridging this gap, by studying the eloquence of Irony in what the researcher called the poetry of holdings in the book Thamar al-Qulub by al-Tha'alabi. This choice is justified by what this type of poetry represents in terms of renewal in the topics of Arabic literature, which had its echo in the development of this literature after that in the Abbasid era, and in the modern era as well. Moreover, the researcher sensed when he read all these poems that the Irony was intentional and deliberate, and that it was employed to perform certain technical and rhetorical messages, and that this had a clear impact on building these passages in form and content. This is a study that attempts to track this issue and explore its depths, according to a descriptive and analytical approach, based on

selecting a deliberate sample, which the researcher believes accurately, represents the research community. The research includes an introduction, in which there is talk about the reasons for the research, its methodology, its sections, its questions, and previous studies. And four topics: the first is about Irony linguistically and idiomatically, and the second is about the types of Irony, while the third deals with the structure of Irony (its elements and tools), and the fourth topic deals with the goals and functions of Irony. Then comes the conclusion, with the results and recommendations of the research, before the list of sources and references.

Keywords: Paradox - Fruits Of Hearts - Foxes - Collectibles Poetry - Verbal Paradox - Paradox In Relief - Paradox Of Situation - Dramatic Paradox - Paradox Of Simple Dissonance - Paradox Of Events.

المقدمة

ازدهر النثر في العصر العباسي ازدهارًا ملحوظًا؛ في ظل ما هو معروف عن ذلك العصر من تمازج الحضارات، وتلاقح الثقافات، في كنف اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وما أثمره هذا من ازدهار فكري وأدبي، صاحبه تجديد وتطوير في وسائل التعبير، فتنوعت الأساليب، وتعددت مستوياتها، بما في ذلك ما كان منها مشتملاً على المفارقة(١)

ودراسة المفارقة من الدراسات والآليات البلاغية والنقدية الجديدة نوعًا في تحليل النصوص الأدبية تحليلاً متعمقًا، غايته استكشاف مستويات الأداء في تلك النصوص، ومحاولة الوصول إلى أعماقها، حيث يكمن خطاب الكاتب، أو المعنى الذي يريد إيصاله للمتلقين. والمفارقة ظاهرة فكرية وفنية أسلوبية لا تخطئها العين في الأدب العربي القديم عامة، وفي الشعر منه خاصة، ولها فيه دواعيها، ووظائفها البلاغية المهمة. وقد التفت الباحثون إلى هذا، وأقبلوا على رصده وتحليل جانب منه في العقود الثلاثة الأخيرة، ومع هذا بقيت موضوعات لم تُدْرَس، وجوانب من هذه الظاهرة لم تلقَ ما هي جديرة به من العناية. وهذا البحث يحاول أن يُسهم في سد هذه الثغرة، عبر محاولة استجلاء أبعاد ظاهرة المفارقة، وطرائق تمثلها، وتشكل أساليبها فيما سمَّاه الباحث أشعار المقتنيات في كتاب ثمار القلوب للثعالبي؛

(١) انتبه د. مصطفى الشكعة إلى تميز هذا الضرب من الشعر، وأنه جديد، ظهر في العصر العباسي، ونصَّ على أنه ليس صورة من شعر الهجاء–وضرب له أمثلة مما جاء في البحث الراهن–وإنما نوع جديد لا يخلو من فكاهة وطرافة، لكنه لم يلتفت إلى المفارقة فيه، ولم يذكر هذا المصطلح. يُنظر: د. مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٦ ١٩٨٦م، ص٧٩٨.

ولهذا الاختيار ما يبرره؛ فهذه النصوص ظاهرة إبداعية تستحق الوقوف عندها للدراسة والتحليل، وما يمثله هذا الضرب من الشعر من تجديد في موضوعات الأدب العربي، كان له صداه في تطور هذا الأدب من بعد، في العصر العباسي، وفي العصر الحديث أيضًا. ثم إن الباحث استشعر حين قرأ هذه الأشعار جميعًا أن المفارقة كانت فيها مقصودةً متعمدةً، وأنها كانت موظفة لأداء رسائل فنية وبلاغية معينة، وأن لهذا أثره الواضح في بناء هذه المقطَّعات شكلاً ومضمونًا. كيف لا ، وقد اتخذ بعض الأدباء ممتلكات المرء وسيلة للسخرية الفنية منه، وموضوعًا للمداعبات الأدبية مع صاحبها، أو المساجلات مع أقرانهم من الأدباء حولها، تحدو كلاًّ منهم–إضافة إلى استعراض قدراته الإبداعية–أهدافٌ أخرى من وراء النصوص التي صاغها. وقد رأى (ليتش)المفارقة مبدأ قائمًا بذاته يكمل مبدأ التأدب. ولعل التعاون والتأدب يتحددان في أنه: "إذا كان من الضروري أن تسبب إساءة فقم بذلك على الأقل بطريقة لا تتعارض صراحة مع مبدأ التأدب لكن اسمح للمستمع بالوصول إلى نقطة الإساءة من ملاحظتك بشكل غير مباشر عن طريق الإضمار"[١]

نطاق البحث:

النطاق الزماني: ما قبل نهاية القرن الثالث الهجري

النطاق الموضوعي: خمسة عشر نصًّا من كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي، يمتزج فيها كلها تقريبًا الشعر بالنثر، ويأتي هذا الأخير–غالبًا–مقدمة للأول، ثم لاحمًا بين المقطعات الشعرية، التي يتراوح طولها بين بيت وثمانية أبيات. وبيان النصوص في الجدول الآتي:

(١) د. عيد بلبع: العدول بالمفارقة: التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد السابع، العدد الأول، إبريل ٢٠٢٢م، ص٤.

م	الموضوع	رقم الفقرة	رقم الصفحة	محتوى النص
١	طمع أشعب	٢٠٨	١٢٧	نص نثري+بيتان من الشعر
٢	قنديل سعدان	٢١٢	١٢٨	نص نثري+أربعة أبيات من الشعر
٣	خريطة شهر	٢٤٢	١٤٢	نص نثري+بيت واحد من الشعر
٤	عنز الأعمش	٢٤٥	١٤٣	نص نثري
٥	ضرطة وهب	٢٨٢	١٧٢	نثر قليل واثنتا عشرة مقطوعة شعرية
٦	أير أبي حكيمة	٢٩٨	١٨٩	نص نثري+خمس مقطوعات شعرية
٧	بغلة أبي دلامة	٥٩٩	٢٩٤	نص نثري+قصيدة من ستة وثلاثين بيتًا
٨	حمار طيَّاب	٥٦٥	٢٩٩	نص نثري+ست مقطوعات شعرية
٩	شاة سعيد	٥٨٠	٣٠٦	نص نثري+أربع مقطوعات شعرية
١٠	شاة أشعب	٥٨١	٣٠٧	نص نثري+قصيدة من ثمانية أبيات
١١	دجاجة أبي الهذيل	٧٦٩	٣٨٥	نص نثري
١٢	دُرَّاجة الحَكَم	٧٧٠	٣٨٦	نص نثري+بيتان من الشعر
١٣	طيلسان ابن حرب	١٠٠٠	٤٨٢	نص نثري+اثنتا عشرة مقطوعة شعرية
١٤	قِدْر الرِّقَاشِيّ	١٠٢٠	٤٩٢	نص نثري+ثلاثة أبيات من الشعر
١٥	دينار يحيى	١١٥٩	٥٣٩	نص نثري+مقطوعتان شعريتان

وكان اختيار هذه النصوص لتحليلها، ورصد تجليات المفارقة فيها انطلاقًا من أن النتائج المستنبطة من دراسات المفارقة في سياقات وأجناس أدبية معينة، لا تصلح بالضرورة للتطبيق على ظواهر المفارقة في سياقات وأجناس أدبية أخرى، وأنه"من الضروري أن ينشأ جدل في رؤية المقاربات

المنهجية والظاهرة موضوع الدراسة؛ فالأمر ليس تطبيق قواعد، ولكنه تتبع ظواهر برؤية مرفودة بمعارف وتجارب ومناهج ونظريات. ثم يكون من شأن هذا التتبع أن يؤسس لمقومات النصوص والظواهر موضوع الدراسة"[١] أو -بعبارة أخرى-: هي محاولة لتوطين مفهوم المفارقة المجتلب من الغرب، لا بالتقيد الآلي بما حدده له دارسوه من أُطُر في بيئته الأصلية-ففي هذا تبعية مقيتة-ولا بالبحث له عن شواهد من تراثنا-ففي هذا تلفيق غير علمي-وإنما باستكشاف ما هو ماثلٌ فعلاً في تراثنا، وتعديل مفهوم المفارقة بما يتناسب معه نظريًّا، تمهيدًا لتطبيق هذا الإطار النظري الجديد على مزيد ومزيد من النصوص، بحيث يثمر -بعد أمَدٍ طويل-منهجًا مستقرًا في بيئتنا الثقافية.

منهج البحث:

وقد أغرى هذا بدراسةٍ تحاول تتبع هذه المسألة وسبر أغوارها، وفق منهج استقرائي وصفيٍّ تحليليّ، قائم على اختيار عينة عمدية، يرى الباحث أنها تمثل مجتمع البحث تمثيلاً دقيقًا، وتحليل هذه النصوص تحليلاً فنيًّا بغية استشفاف عناصر المفارقة فيها، ووسائلها، وتقنياتها، وغاياتها الفنية. "وغني عن البيان ، أن الانقطاع عن القديم-عند اقتضاء الاتصال به-في أي بحث جديد، يصبح مضرة للبحث ذاته، وإضعافًا من قيمته وجدواه، في تأسيس بناء معرفي متين في مجال اختصاصه. من هنا؛ فإن التأصيل النظري، وسعة الأفق التطبيقي، يوجبان الاتصال بالقديم، والبناء عليه

(١) السابق، ص١٣، وانتبه إلى هذا من قبل: وجيه يعقوب السيد: المفارقة والرواية. دراسة في رواية"تلك الأيام" لفتحي غانم، سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، صحيفة الألسن، كلية الألسن، جامعة عين شمس، العدد العشرون، يناير ٢٠٠٤م، ص٤٨٥.

بأساليب جديدة. وهو اتصال لا يتوقف عند ما يسعفنا به مجال التطبيق، وإنما يتجاوزه إلى تحري المستندات النظرية والفكرية الأصيلة التي تعمق تعاملنا مع النص، وتوسع معرفتنا به"[1]

واتساقًا مع ما يتغياه البحث، ينتظم في أربعة مباحث، بين مقدمة وخاتمة. المقدمة فيها حديث عن دواعي البحث، ومنهجه، وأقسامه، وتساؤلاته، والدراسات السابقة. ثم أربعة مباحث: أولها عن المفارقة لغةً واصطلاحًا، والثاني موضوعه أنواع المفارقة، أمَّا الثالث فيتناول بنية المفارقة(أركانها وأدواتها)، والمبحث الرابع في غايات المفارقة ووظائفها. ثم تأتي الخاتمة، وبها نتائج البحث وتوصياته، قبل قائمة المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

وكثيرةٌ هي الكتب والأبحاث والمقالات التي عن المفارقة باللغة العربية في أواخر القرن العشرين، ثم فيما مضي من أعوام القرن الحادي والعشرين. غير أن أبرز ما اطلع عليه الباحث منها ستة:

١-د. سي. ميويك: "المفارقة" و "المفارقة وصفاتها"، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، في موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد الرابع، بيروت، ط١ ١٩٩٣م. مقالان بينهما زمن، والثاني تعديل وبسط للأول، وقد ترجمهما د. عبد الواحد لؤلؤة، ونشرهما متتابعين في أول هذا المجلد من موسوعة المصطلح النقدي، ومن مزايا منهج ميويك كثرة أمثلته على كل نقطة، لكنها كلها-بالطبع-من كتابات غربية قديمة وحديثة. ولا خلاف بين الباحثين على أن د. سي. ميويك أحد أبرز من أولو المفارقة عنايتهم التنظيرية حتى أخرجها إلى

(١) د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص١١

دائـرة الضـوء والاهتمـام[١]، وأن كـل دارس عربـي معاصـر لظـاهرة المفارقة–بلا استثناء–يعود إلى هذا الكتاب المهم لينطلق من الأسس التي أرساها مؤلفه، ثم يوافقه أو يخالفه بقدر أو آخر.

٢–د. سيزا أحمد قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، مقال بمجلة فصـول، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، القـاهرة، العـدد٦٨، ربيـع ٢٠٠٦م

٣–د. نبيلة إبراهيم: المفارقة، مقال بمجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتـاب، القـاهرة، المجلـد السـابع، العـددان الثالـث والرابـع، سـبتمبر ١٩٨٧م

وهما دراستان تطبيقيتان، تنحوان منحى بلاغيًّا فنيًّا نواته المغزى، كما أنهما من الكتابات المتخصصة الأولى في المفارقة باللغة العربية؛ فلهما فضل السبق، لكن تشوبهما ضبابية البدايات في بعض الجوانب.

٤–د. محمد العبد: المفارقة القرآنية. دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢ ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م

وهـي دراسـة رائـدة للمفارقـة تنظيـرًا وتطبيقًـا، مـن مـدخل لغـوي متخصص، قائم في الأساس على نظرية تحليل الخطاب، ثم إنه أفاد من علـم اللغـة النصـي، وعلـم اللغـة الأسـلوبي، فضـلاً عـن علـم اللغـة العـام بمسـتوياته التحليليـة المختلفـة، كمـا أنهـا مـن الدراسـات الأولـى لخطـاب المفارقة في النص القرآني

٥–د. محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مكتبة الأدب المغربـي، دار أفريقيـا الشـرق، الـدار البيضـاء، المغـرب، ط٢ ٢٠١٢م. درس المفارقة تحت اسم "السخرية"في ثمانين صفحة، يشغلها الفصل

(١) ساسية عيساني: شعرية المفارقة عند أبي تمام، ص٣٤٦

الثاني من الكتاب، في مبحثين : الأول عن بلاغة السخرية الأدبية، مع التطبيق على السخرية الجاحظية: الآليات والرؤية، والثاني: بلاغة السيرة الذاتية. تداخل الواقع والخيال.

٦-د. صالح بن عبد الله بن عبد العزيز الخضيري: المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم/نوفمبر ٢٠١٢م

إلى فيض من الدراسات الأخرى عن المفارقة يضيق هذا المقام عن حصرها، وإن لم تضق حواشي البحث عن إشارات إلى إفادة الباحث منها. ثم إن هناك ما يتماس مع موضوع البحث الراهن، من ناحية طبيعة أشعاره، ومنه:

١-د. عناد إسماعيل الكبيسي: شعر وشعراء الظَّرْف والفكاهة إلى القرن الرابع الهجري، مقال بمجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد الثاني عشر، ١٩٨٥م، من أربع وعشرين صفحة ، أكد فيه كاتبه شيوع هذا النوع من الشعر الفَكِه في القرن الرابع بالذات، وضرَبَ له أمثلة لا تخلو من فُحش، وحللها رابطًا مضامينها بأحوال ذلك العصر. دونما تطرق للمفارقة من قريب ولا بعيد.

٢-ضيف الله سعد حامد الحارثي: شعر الهجاء الاجتماعي في العصر العباسي من٢٣٢-٤٤٧هـ، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية-جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. وهي من ثلاثة فصول، حلل فيها صاحبها أشعار نقد الظواهر الاجتماعية السيئة(ظواهر الانحراف الاجتماعي): اللهو، والخمر، وذم المرأة، والتنجيم، والشعوذة، واللؤم، والكذب، والحسد. . . إلخ. لكنه بعيد كل البعد عن رصد ظاهرة المفارقة ودراستها.

المبحث الأول: تجريد المصطلح

المفارقة لغة:

المفارقة في اللغة من الجذر الثلاثي(ف–ر–ق) الدال على المباينة؛ فالفاء والراء والقاف أصلٌ صحيح، يدل على فصلٍ وتمييز، وتزييل بين شيئين. من ذلك فَرْقُ الشَّعْر، والقطيعُ من الغنم، الذي من أسمائه في اللغة: الفِرْق، والفِرْق أيضًا الفِلْق، قال تعالى: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء: ٦٣). وإفراقُ المحموم مفارقة الحُمَّى له. والناقةُ المُفْرِق هي التي فارقها ولدها حين مات. والفُرْقان كتابُ الله الذي فرَّق بين الحق والباطل. والصبحُ المفرق بين ظلام الليل وضوء النهار . . إلى آخر تلك الأمثلة الدالة على التباعد والمزايلة(١)

وذهب ابن منظور إلى أن الفَرْق للإصلاح والتفريق للإفساد، وأنَّ التفرُّق والافتراق سواء، وقيل: التفرق للأبدان والافتراق في الكلام، يُقال: فرقت بين الكلامين فافترقا، وبين الرجلين فتفرقا. والفُرقَةُ اسمٌ يُوضَع موضع المصدر الحقيقي، من الافتراق. وفارق الشيءَ مفارقة وفراقًا: بَايَنَه، والاسمُ الفُرقَة. والفِرْقُ والفِرْقَة والفريق: الطائفة من الشيء المتفرق. وفَرَق له عن الشيء: بيَّنَه له(٢)

أي أن المفارقة في معاجمنا تعني "الفرق والافتراق، والفصل والتباعد، والتباين، والتمييز بين شيئين أو أمرين أو موقفين. . لاسيما إذا كان هذان الأمران على طرفي نقيض، أو أن أحدهما خلاف الآخر، أو بالضد منه"(٣)،

---

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة(ف–ر–ق) ، وتُنْظَر المادة نفسها كذلك عند: الزمخشري: أساس البلاغة، وابن منظور: لسان العرب.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة(ف–ر–ق) .

(٣) كمال رقيق: المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، ص٥٢.

"إلا أن في الفرق والمفارقة اصطحاب لدلالات شعورية لا تملكها مفردة "ضد" . . دلالة على وجود مستويين، تشير إليهما المفارقة في جذرها اللغوي" ف ر ق": المستوى الأول، اندماج المتفارقَين، والثاني، افتراقهما، أو افتراق الأول من الثاني، وتميزه عنه، ليشكل نقيضه"[١]. وفي الفرقان، وهو ما فارق بين الحق و الباطل، استلال الحق من الباطل، لتمييزه بعد اختلاط، بينما نجد في الثاني ، الجذر اللغوي " ض د د "تضادًا حادًا بين عناصر مستقلة[٢]

وفي العصر الحديث، نجد مصطلح المفارقة ترجمةً لمصطلحين أجنبيين، هما: Paradoxو Irony والأول قديم؛ إذ ورد في جمهورية أفلاطون على لسان أحد الذين وقعوا فريسة استخدام سقراط المراوغ للغة في محاوراته، مما يدل على أن المفارقة نشأت في إطار فلسفي يوناني؛ لأن كلمةParadoxذات أصل يوناني ، وتتكون من مقطعين، هما: "Para"الذي يعني: المفارق أو الضد، و"dox" ، بمعنى: الرأي، فيكون المعنى الكلي: ما يُضاد الرأي الشائع. وقد يُستعمل للزراية[٣]

(١) د. يوسف أحمد إسماعيل: بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، العدد الثامن عشر، إبريل ٢٠١٦م ص٨٤.

(٢) السابق: ص٨٤.

(٣) مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٦١١، ٦١٢، وعن اختلاف المترجمين عند ترجمة هذا المصطلح، يُنظر: محمد بن منصور أبا حسين: لغة المفارقة، دارة الملك عبد العزيز، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، ربيع الأول ١٩٩٠م، ص١٩٠.

المفارقة اصطلاحًا:

لعل مما يُجمع عليه الدارسون، أن مظاهر المفارقة ماثلة في جوانب الأنشطة الاجتماعية، والفلسفة، وفي فنون الأدب، ثم في درس البلاغة والنقد منذ قديم، دون أن تحمل اسم المفارقة(١). يقول ميويك: "لقد وُجِدَت الظاهرة قبل أن يُطلق عليها الاسم، وبالتالي قبل أن يُوجد مفهوم عنها، وقد وُجدت الكلمة قبل أن تطلق على الظاهرة"(٢)

وترد كلمة آيرونيئيا أول مرة في كتاب الجمهورية لأفلاطون، حيث يطلقها سقراط على أحد ضحاياه، ويبدو أنها تعني عنده: "طريقة ناعمة هادئة في خداع الآخرين"(٣) ، كما تفيد عند ثيوفراستس: إنسانًا مراوغًا لا يلتزم بحال، ويخفي عداوته، ويدعي الصداقة، ويسيء التعبير عن أفعاله، ولا يدلي بجواب واضح أبدًا(٤)، وهذا يبرز أهم الخصائص الأساسية للمفارقة، التي تتحدد في خاصيتي الخفاء والتضاد(٥).

ويستعرض ميويك معاني هذه الكلمة عند ديموستينس وثيوفراستس وفيرفاكس، وغيرهم من فلاسفة الغرب وأدبائه قديمًا وحديثًا، قبل أن يقول إنه في العصر الحديث، بدأ ظهور كلمة المفارقة عند الأمم الأوروبية في بداية القرن السادس عشر الميلادي، لكنها لم تشِعْ وتُستعمل في مجال الأدب

(١) عن المفارقة في الإطار الفلسفي، يُنْظَر: د. نبيلة إبراهيم، ص١٣٤، ١٣٥، وفادية محمد عبد السلام: المفارقة في التراث النقدي، ص٢١٣، ٢١٤.

(٢) د. سي. ميويك: المفارقة، ص٢٥، والمفارقة وصفاتها، ص١٣٩.

(٣) السابق: المفارقة، ص٢٦، والمفارقة وصفاتها، ص١٤٠.

(٤) السابق: المفارقة، ص٢٦.

(٥) د. عيد بلبع: العدول بالمفارقة: التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد السابع، العدد الأول، إبريل ٢٠٢٢م، ص١٥.

إلا في بداية القرن الثامن عشر؛ حين استعملت للدلالة عليها كلمات من قبيل: السخرية، والتهكم، والضحك، والهزؤ، والغمز[١]. وشيئًا فشيئًا، اكتسبت المفارقة معاني جديدة عدة، أضيفت إلى المعاني القديمة، فشكلت تحولاً جذريًّا في مفهومها، "وتعددت المفاهيم الجديدة وتباينت تبعًا لتعدد ثقافة الدارسين من الأدباء والنقاد"[٢]

وغلا بعض الدارسين، فذهب إلى أن وعي نقادنا القدامى بمفهوم المفارقة وإدراكهم له تجاوز حدود وضعه في صورة سطحية ، وتعدى هذا إلى وضعه في صورة المفارقة[٣]. والواقع أنه "تنوعت جهود الباحثين العرب في حقول البلاغة والنقد والأدب للوصول إلى حضور لمصطلح المفارقة في التراث العربي البلاغي بخاصة والنقدي بشكل عام ، ولكن دون جدوى؛ فجميعهم أقروا بأنه لا وجود لهذا المصطلح في تراثنا بل أكدوا أنه نتاج الثقافة الغربية المعاصرة، القادمة من الإرثين الإغريقي والروماني، واعتمدوا في ذلك علي دراسة ميويك"[٤]

(١) د. سي. ميويك: المفارقة، ص٢٦-٢٨، ثم يحدثنا عن رحلة المفارقة فيما بعد في ألمانيا خاصة وأوروبا عامة، حتى نهاية ص٣٨.

(٢) الخضيري: المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم١٤٣٤هـ/نوفمبر ٢٠١٢م، ص٢٤٩.

(٣) فادية محمد عبد السلام: المفارقة في التراث النقدي، ص٢١٥، وإن عادت الباحثة فأقرت بأنها لم تجد من المصطلحات التراثية العربية ما يحمل كامل دلالة المفارقة، وإنما وجدت مصطلحات تمثل جانبًا من جوانب المفارقة دون أن تمثلها. ينظر: البحث السابق، ص٢١٦.

(٤) د. يوسف أحمد إسماعيل: بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، العدد الثامن عشر، إبريل ٢٠١٦م ص٨٥.

وكثير من الباحثين يرى الجاحظ صانع المفارقة الأول في التراث العربي القديم[١]، والحق أن الباحث في أدب الجاحظ يظفر بنصوص صريحة في وصف ظاهرة المفارقة "لو قصد الجاحظ أن يفصل في المفارقة مصطلحًا نقديًّا لما كان أكثر دقة وأشد وضوحًا مما ذكر"[٢] ، منها نصه الشهير في البلاغة والبليغ، الذي يقول فيه إن باذَّ الهيئة القليل القميء يثير تعجب الناس من بلاغته أكثر من الجليل الجميل البهي الذي على الدرجة نفسها من البلاغة والبيان؛ لأنهم لم يكونوا–من مظهره–يتوقعون ما سيأتي به[٣]. كما أن أدنى قراءة لديوان المتنبي تدل القارئ على أنه يزخر بألوان من المفارقة لا مراء فيها[٤]

(١) د. نبيلة إبراهيم: ص١٣٧.

(٢) كمال رقيق: المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، ص٥٣.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، جـ١ ص٨٩، ٩٠.

(٤) ولعله لهذا السبب كثرت الدراسات عن المفارقة في شعر المتنبي كثرة واضحة، ومنها:

عبد الهادي خضير: المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م، وأمل نصير: المفارقة في كافوريات المتنبي. قراءة في نصوص مختارة، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٧م، ورضا كامل: بناء المفارقة . دراسة بلاغية تحليلية، شعر المتنبي أنموذجًا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ ٢٠١٠م، وسناء هادي عباس: المفارقة الشعرية. المتنبي أنموذجًا، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م

والمفارقة فن بلاغي بكل تأكيد، لكنْ بلغاء العرب لم يعرفوه على هذا النحو من التحديد الحديث له، وإن كانوا قد أحسوا بخصوصية الكلام الذي يراوغ ويهرب من تحديد المعنى، أو يقول شيئًا ويعني شيئًا آخر"[١]

وهناك مصطلحات بلاغية ونقدية يتماس مفهومها أو يتقاطع ويتداخل مع مفهوم المفارقة الغربي، منها: تأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، وتجاهل العارف، والسخرية، والتهكم، والتعريض، والتورية، وغير ذلك، من الفنون البلاغية التي تقوم على التلاعب باللغة على نحو خاص. ويرى الباحث أن أقربها إلى جوهر المفارقة بالمفهوم الحديث أربعة: التهكم، والذم بما يشبه المدح[٢]، والهزل الذي يُراد به الجد[٣]، والتضاد بدرجتيه: الطباق والمقابلة، وأنه عند التحليل العملي للنصوص العربية التي

(١) د. نبيلة إبراهيم: ص١٤٠، ويُنظر كذلك: عمر سعيد باصريح: المفارقة في شعر البردوني، مجلة الآداب، كلية الآداب، ، جامعة الملك سعود، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني، جمادى الآخرة/مايو ٢٠١٣م، ص٤٩٠، وهناء كامل علي إبراهيم: المفارقة خطابًا حجاجيًّا، ص١٣٩.

(٢) عن تأكيد الذّم بما يشبه المدح، يُنظر: السيوطي: شرح عقود الجمان، ص١٢٥، والعلوي: الطراز تحت اسم التوجيه ٣: ١٣٧ ، القزويني: التلخيص، ص ٣٨٢ ، وأحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص ٤٠٤، والشنقيطي: المداخل الأولية، ص ١٥٨ ، وحفني ناصف: دروس البلاغة، ص ٢٠٣.

(٣) عنه يُنْظَر: السيوطي: شرح عقود الجمان، ص ١٣٠، أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص٤٠٦، ٤٠٧

"ويدخل هذا المصطلح في المفارقة؛ وذلك لأن بنيته تعتمد على ثنائية المخالفة في الظاهر في حين تدل على الموافقة في العمق". يُنظَر: فادية محمد عبد السلام: المفارقة في التراث النقدي، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، العدد الثامن عشر، الجزء الثاني، ٢٠١٧م، ص٢١٩.

فيها مفارقة لابد من استثمار ما قيل تحتها في كتب التراث البلاغية والنقدية، عادِّين إياها أبرز أدوات المفارقة أو أساليبها؛ فهي جزء والمفارقة كُلّ.

ولا ضير في أن ندخل مصطلح المفارقة إلى ميدان ثقافتنا، "ونؤسس له لغويًا واصطلاحيًا في حقل النقد أو حقل البلاغة، أو غير ذلك، دون أن نشعر بالخيبة أو التقصير. ولذلك يجب الكف عن تفسير مصطلح المفارقة في ضوء المصطلحات الأخرى؛ لأن ذلك سيؤدي إلى خلط المفاهيم"[١]

وفي مضمار الدرس النقدي والبلاغي المعاصر والدرس اللغوي الحالي عشرات التعريفات للمفارقة، حتى إن حصر تلك التعريفات يضيق عنه هذا المقام، ويحتاج إلى بحث مستقل، يكون لهذا الهدف وحده[٢]؛ ولعل سر تعدد تعريفات المفارقة، وتشابكها، وتضاربها، يكمن في نسبية الإحاطة بظاهرة المفارقة، وأن كل مفهوم منها شاخص إلى جانب من الظاهرة، يلقي

(١) د. يوسف أحمد إسماعيل: بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، العدد الثامن عشر، إبريل ٢٠١٦م، ص٨٦.

(٢) يُنْظَر-على سبيل المثال لا الحصر-:

د. سيزا قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، المجلد الثاني ، العدد الثاني١٩٨٢م، ص١٠٦

محمد إبراهيم خالد الخوجة: المفارقة في أدب الجاحظ. البخلاء نموذجًا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٢هـ/٢٠٢٢م، ص(أ) ،

د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص١٥، مولود محمد زايد: بنية المفارقة ودلالتها: قراءة ثانية، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، كلية التربية الأساسية، جامعة ميسان، المجلد التاسع عشر، العدد التاسع والثلاثون، ٢٠٢٠م، ص٦٥، د. نبيلة إبراهيم: المفارقة، مجلة فصول، العدد الثالث، ١٩٨٧م، ص، ١٢٣.

الضوء عليه بصورة أشد تكثيفًا[١]، وأن هذه التعريفات تصل إلينا دفعة واحدة دون إيضاح لتطورها الدلالي، وتأتي منزوعة من سياقيها الفكري والتاريخي على نحو يجعلها ملتبسة أو ناقصة، كما أنها مستمدة من حقول معرفية عدة[٢] .

ومن تعريفات المفارقة أنها تقوم على"تحقق المسافة التضادية الجمالية بين مشهدين أو اعتقادين أو موقفين أو رأيين، بحيث يشكل المعلن منهما مفاجأة للمتلقي، إن كان سلبيًا أو إيجابيًا /أو متوافقًا مع الوعي الاجتماعي أو مخالفًا له"[٣] ، وأنها"نمط من أنماط العدول(الانزياح) فهي استعمال خاص للغة ذو وظيفة بلاغية مضاعفة ومتعددة. . فهي مضاعفة بتضمنها المعاني الثواني المكثفة التي تحمل عدة وظائف في عملية التواصل. . وهي متعددة لأنها تأتي في ظواهر مختلفة ارتبطت بمباحث بلاغية في المدونات البلاغية العربية"[٤] .

وهي عند د. سيزا قاسم"إستراتيجية قول نقدي ساخر، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني، ولكنه تعبير غير مباشر، يقوم على التورية"[٥] ،

(١) د. عيد بلبع: العدول بالمفارقة: التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد السابع، العدد الأول، إبريل ٢٠٢٢م، ص٣.

(٢) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٤٧.

(٣) د. يوسف أحمد إسماعيل: بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، العدد الثامن عشر، إبريل ٢٠١٦م، ص٨٣.

(٤) د. عيد بلبع: العدول بالمفارقة: التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد السابع، العدد الأول، إبريل ٢٠٢٢م، ص٣.

(٥) د. سيزا أحمد قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٠٦.

وعند د. محمد العبد: "طريقة من طرائق استخدام اللغة في السياق النصي، والسياق الخارج عن النص، وتنعقد بنية الدلالة في خطاب المفارقة على علاقة التضاد بين الدلالة الحرفية الأولية للمنطوق: لفظًا، أو مجموعة لفظية، أو عبارة، أو جملة، أو ما فوق الجملة، وبين دلالته المحوَّلة التي يرشحها السياق بنوعيه السابقين، وهي هذه الدلالة التي يمكن أن نطلق عليها هنا اسم "الدلالة المفارقية"[١]

ومن الواضح أن هناك إجماعًا على أن التضاد أصل أصيل، وأساس من أسس المفارقة، كما تتفق معظم التعريفات على الآتي: عنصر الخفاء، والمعنى الباطن الكامن في النص، وأن هذا المعنى الباطن هو مقصود الكاتب وهدفه، والاختلاف بين المعنى الباطن والمعنى الظاهر[٢]، ثم الطرافة الناجمة عن اكتشاف المعنى الكامن[٣].

(١) د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص٩، ولأمينة الدهري عرض جيد للمكونات الفلسفية والبلاغية والتداولية والقيم الحجاجية لمفهوم المفارقة–لكنها تسميها: السخرية–في: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط١ ٢٠١١م، ص٢٥–٣٥.

(٢) فادية محمد عبد السلام: المفارقة في التراث النقدي، ص٢٢٣.

(٣) مولود محمد زايد: بنية المفارقة ودلالاتها، ص٦٥.

المبحث الثاني: أنواع المفارقة

وللمفارقة أنواع عدة، وقد ذكر د. محمد العبد أنه وجد من هذه الأنواع في القرآن سبعة[١]، وقدَّر باحثٌ آخر أنواعها بخمسة عشر نوعًا[٢]، وبلغ بها بعض الدارسين ثلاثين نوعًا[٣]. وأنواع المفارقة تتداخل من ناحية المفهوم؛ لأن الاختلاف بينها إنما هو في الطرائق والأساليب، أو السطحية والعمق، أو التأثير في المتلقي، لا في الجوهر المشترك بين تلك الأنواع جميعًا. لكن أبرزها نوعان كبيران، تندرج تحتهما سائر الأنواع، هما: المفارقة اللفظية، ومفارقة الموقف[٤] .

المفارقة اللفظية

والمفارقة اللفظية أبرز أنواع المفارقة، و"هي شكل من أشكال القول، يُساق فيه معنى ما، في حين يُقْصَدُ منه معنى آخر، غالبًا ما يكون مخالفًا للمعنى السطحي الظاهر"[٥] ، لكنها أعقد مما قد يبدو من هذا التعريف

---

(١) د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص١٢.

(٢) عبد الهادي خضير: المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م، ص٦٠.

(٣) الخضيري: المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم١٤٣٤هـ/نوفمبر ٢٠١٢م، ص٢٥٠.

(٤) يُنظَر: د. سي. ميويك: المفارقة، ص٤٠.

(٥) د. سيزا قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٠٦، ويُنْظر كذلك: ساسية عيساني: شعرية المفارقة عند أبي تمام، ص٣٥٠، وعبد الهادي خضير: المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م، ص٦١، ومحمد جواد حبيب: شعرية المفارقة في غورنيكا عراقية، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العدد التاسع عشر، ٢٠١٣م، ص١٢١.

البسيط؛ إذ يحاول صانعها جهدَه أن يستثمر إمكانات الألفاظ الصوتية والدلالية، وقدرتها على إحداث نوع من المفاجأة لوعي المتلقي، فتتركه حائرًا لحظات، قبل أن تحفز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهر للعبارة، دونما وقوع في أخطاء لغوية(١) .

وتتحقق في مجموعة من المستويات، ويجتمع فيها أكثر من عنصر، وتبدأ بمفارقة اللفظة الواحدة، وتنتهي بمفارقة النص الكامل، كما أن المغزى فيها(مقصد القائل) قد يتراوح في درجات عنفه وقوته بين العدوان العنيف والتدليل اللين، وتشتمل كذلك على عنصر لغوي أو بلاغي هو عملية عكس الدلالة(المغايرة) (٢)، أي أنها ليست مجرد محسن لفظي بديعي، وإنما ضرب من البلاغة التعبيرية، تسم الخطاب بكسر أفق التوقع، إن جزئيًا، على مستوى معنى في متوالية، وإن كليًّا، أي على مستوى الخطاب بكليته(٣).

والمفارقة اللفظية عند ميويك نوعان، أولهما وأبسطهما الإبراز، وهو المدح بأسلوب الذم، وكل ما هو قريب من هذا في المعنى. والثاني: الإغراق أو النقش الغائر، أو النيل من الذات، أو الاستخفاف بالذات، وما إلى ذلك

(١) عبد الهادي خضير: المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م، ص٦٦، ٦٧.

(٢) د. سيزا قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٠٦.

(٣) يوسف أحمد إسماعيل: بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، العدد الثامن عشر، إبريل ٢٠١٦م، ص٨٧، ويُنظر كذلك: كمال رقيق: المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، ص٥٩، ومحمد بن منصور أبا حسين: لغة المفارقة، دارة الملك عبد العزيز، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، ربيع الأول ١٩٩٠م، ص١٧٠.

كالتواضع الزائف. وهذا النوع الثاني أجود فنيًّا، وأكثر شيوعًا في النثر العباسي[١] .

ثم إن المفارقة اللفظية أنواع، منها: مفارقة العنوان، ومفارقة التشبيه، ومفارقة الاقتباس والتضمين، وكسر التوقع، ومفارقة التورية، ومفارقة المدح بما يشبه الذم، وعكسه، ومفارقة تعظيم الحقير وتصغير العظيم، ومفارقة تخفيف القول وتفخيمه، ومفارقة الحذلقة، ومفارقة تجاهل العارف[٢]، والمفارقة السياقية، ومفارقة الصورة، ومفارقة النغمة، ومفارقة السخرية[٣] .

وفي النصوص محل الدراسة لا وجود للنوع الأول منها–أعني: مفارقة الإبراز (المدح بأسلوب الذم)–وإنما ههنا ما يدخل في نطاق النوع الثاني: مفارقة النقش الغائر (النيل من الذات)، ومنه ما في النص الأول، الذي يروي فيه أشعب عن سالم بن عبد الله بن عمر، ويقول في جملة اعتراضية قبل أن يكمل الرواية: "وكان يُبغضني في الله"، فإذا قيل له: دعْ ذا، قال: ليس للحق مُتَّرَك[٤]. وفي النص العاشر نجد النوع نفسه مع أشعب أيضًا، لكن معه معادلاً موضوعيًّا له ، هو شاته التي يقودها الطمع إلى حتفها، فتلقي نفسها من فوق السطح سعيًا وراء قوس قُزح ظنته جبلاً من قَتّ، كما يزعم

(١) الخضيري: المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم١٤٣٤هـ/نوفمبر ٢٠١٢م، ص٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥١.

(٣) ساسية عيساني: شعرية المفارقة عند أبي تمام، ص٣٥٢–٣٦٠.

(٤) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٢٧.

أشعب نفسه[١]، وفي النص السادس كذلك يُقدِمُ أبو حكيمة على مثل هذا النوع من المفارقة؛ دفعًا للتهمة عن نفسه بغلام اتُّهم به[٢] .

أما التشبيه والاستعارة والتشخيص، والتضمين، فيرى الباحث أن الأولى جعلها في مبحث بنية المفارقة، مع التضاد والغلو؛ إذ هي أدوات أسلوبية في هذه البنية. هذا أولى من عدها أنواعًا مستقلة متمايزة من المفارقة.

ومن المفارقة اللفظية في النصوص محل الدراسة أيضًا، ما في: النص الثامن(حمار طيَّاب)، الذي تكمن المفارقة فيه في أن البكاء ليس على الأطلال أو ديار الحبيب، أو للوعة فقْدِ ذلك الحبيب كما هي عادة الشعراء العرب، بل على أغرب ما يمكن أن يتوقعه القارئ: على حمار، دعت إلى البكاء عليه حالته الفريدة ، من السَّقَام والهزال والجوع ، وبهذا يصرِّح الشاعر إذ يقول:

أن لستُ أبكي على رسومٍ. . . غيَّرَهَا هاطِلُ الغَمَامِ
لكن بُكائِي على حِمَارٍ. . مُوَكَّلُ الجسمِ بالسَّقَام[٣]

وما يفتأ يؤكد:

لم أبكِ شَجْوًا لفَقْدِ حِبٍّ. . . ولا ابتـــــلاني بذاك ربِّي
لكنني قد بكيتُ حُزْنًا. . . على حِمَارٍ لجارِ جَنْبِ[٤]

(١) السابق، ص٣٠٧.
(٢) السابق، ص١٨٩.
(٣) السابق، ص٣٠٠.
(٤) السابق، ص٣٠٠.

وتبدو المفارقة اللفظية واضحة حين يُنهي الشاعر كل مقطوعة متمثلاً ببيت شِعرٍ، يلقيه على لسان الحمار، هذا البيت في الغزل، الذي نفى الشاعر في أول المقطوعة أن تكون مقطوعته فيه!

والمفارقة لفظية أيضًا في النص الرابع عشر (قِدْر الرقاشيين)، ودعامتها فيه المقابلة بين قدور الناس السوداء بفعل النار التي تُرْفَع عليها ، ليُطبَخَ فيها للضيوف، وقِدْر الرقاشيين الواحدة المفردة البيضاء الزهراء كالبدر؛ إذ لا يُطبَخُ فيها لبخلهم[١] .

وفي النص الخامس عشر، تقوم المفارقة اللفظية أيضًا على ذلك التضاد المتجسد في قوله: "دينار يحيى زائد النقصان"[٢] ؛ فالزيادة متحققة ، لكنها زيادةٌ في النقصان!

مفارقة الموقف

ويعنون بها التناقض بين أفعال الشخصية وما هو مرسوم لها من الخارج في لحظة معينة، أو هي "المفارقة الآنية التي يخلقها ظرف طارئ أو حالة نفسية معينة، ولا تأخذ شكل القانون الثابت أو الحقيقة الراسخة"[٣] ، وتسميها د. نبيلة إبراهيم (مفارقة الحالة)، وفيها يحاول المتكلم تغيير الواقع– أو تعديله على أقل تقدير–في الموقف الذي هو فيه على أن تكون المفارقة

(١) السابق، ص٤٩٢.

(٢) السابق، ص٥٣٩.

(٣) عبد الهادي خضير: المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م، ص٧٥، ويمثل لها بقول المتنبي:

أظمتني الدنيا فلما جئتها. . . مستسقيًا مطرتْ عليَّ مصائبا

ركيزة ذلك الموقف[١]. وقد يكون هذا بالتعارض بين زمنين، أو بين مكانين، أو بين زمان ومكان[٢] .

وتندرج تحت مفارقة الموقف: المفارقة الدرامية، ومفارقة الأحداث، والمفارقة الرومانسية، ومفارقة التنافر البسيط. ثم هناك أيضًا مفارقة خداع النفس، ومفارقة الورطة، ومفارقة الفجاجة، والمفارقة الكونية، ومفارقة القدر. . . إلخ[٣]، والمفارقة الزمنية، بوضع عنصر في غير سياقه التاريخي، كساعة يد على معصم إحدى شخصيات شكسبير[٤]. وسنعرض لأهمها فيما يأتي:

المفارقة الدرامية:

التي يُسميها الدارسون أحيانًا(مفارقة سوفوكليس)؛ في إشارة إلى شيوعها في مسرحيات ذلك الإغريقي المبدع. وفي المفارقة الدرامية يتصرف

(١) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥١.

(٢) عمر سعيد باصريح: المفارقة في شعر البردوني، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني، جمادى الآخرة/مايو ٢٠١٣م، ص٤٩٢، وفاطمة عيسى جاسم: المفارقة في قصص مي مظفر، مجلة آداب ذي قار، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، العدد الثالث والعشرون، ٢٠١٧م، ص٤٧.

(٣) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥٢.

(٤) عبد الهادي خضير: المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م، ص٦٠.

شخص ما بطريقة توحي بجهله بحقيقة ما يجري من حوله، ويبدو هذا في تصرفاته وكلامه، التي تجعله في وضع يختلف تمامًا عما يكشفه المؤلف للجمهور. وبهذا تكون عندنا وجهتا نظر: ما يحسبه ذلك الشخص، وما يراه القارئ أو المشاهد من وضع حقيقي له[١]، أي أن المفارقة الدرامية تنتج بين ما ينتظر حدوثه و ما هو حادث بالفعل[٢] .

ويحدد بعض الدارسين ثلاثة عوامل لازمة لتحقق المفارقة الدرامية، هي:

١-توفر التوتر في العمل القصصي

٢-يجب أن تكون الشخصية الأولى جاهلة بحقيقة الظروف المحيطة، بما يصنع تناقضًا بين ظاهر الأشياء وحقيقتها

٣-أن يكون الآخرون على وعي تام بالوضع الحقيقي للشخصية الغافلة[٣]

ومن المفارقات الدرامية في نصوص الدراسة ما في النص السابع عن بغلة أبي دلامة، وقصيدته في وصف مساوئها؛ إذ تتجسد في أسلوبٍ اعتمده الشاعر في بناء نصه قريبٍ في شكله من شكل قصة ذات بناء درامي لرحلة البغلة مع أبي دلامة، وكيف حاول في البداية الإبقاء عليها والتعايش معها، وكيف فشل في هذا مرارًا، ثم يصف كيف ساقها إلى السوق ليتخلص منها

(١) د. سي. ميويك: المفارقة وصفاتها، ص١٧٩، ٢٣٠، والخضيري: المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم١٤٣٤هـ/نوفمبر ٢٠١٢م، ص٢٦١.

(٢) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥٢.

(٣) محمد جواد حبيب: شعرية المفارقة في غورنيكا عراقية ، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العدد التاسع عشر، ٢٠١٣م، ص١٢١.

ببيعها، وما اعترضه من صعوبات في هذه السبيل، قبل أن ينجح في بيعها أخيرًا غير مصدق أن هذا حدث؛ فعيوب البغلة–التي سردها وعدَّدَها في القصيدة–ثلاثون عيبًا! ولم يكن ممكنًا بيعها إلا لمن يُقَال عنه:

أتاني خائبٌ حَمِقٌ شَقِيٌّ. . . قديمٌ في الخَسَارةِ والضلال(١)

ولا شك في أن "نسبية الحجاجي تعني فيما تعني انفساحه للتفلت من صرامة الحقيقة والصدق، وبينما يأتي هذا التفلت على مستوى السياق الجاد كذبًا. يأتي على مستوى السياق الاحتفالي طرافة. وبينما ينشد الحِجَاجُ تغيير المواقف بالإقناع في المواقف والسياقات الجادة، فإنه قد يَنْشُد أيضًا تغيير المواقف في السياقات الاحتفالية ولكن وسيلته هنا هي الطرفة والنكتة"(٢). لكن النص في ثمار القلوب ناقص–للأسف–يقل عما في رسائل الجاحظ ثمانية أبيات كاملة، ثم إنها مهمة؛ لأن فيها بالذات تتدرج القصة نحو العقدة فالحل(٣) .

وفي نسق المفارقة، تتولد عن سياق التركيب عادة تساؤلات، تنتج توترًا دلاليًا؛ فهنا مثلاً تكمن المفارقة أساسًا في أن البغلة كانت من ركائب الأشراف، ولها–من هذه الناحية–مزايا معروفة، حتى إن للجاحظ رسالة كاملة في البغال، يبدؤها بالحديث"في حُسن سيرتها، وتمام خَلْقِها، والأمور الدالة على السر الذي في جوهرها، وعلى وجوه الارتفاق بها، وعلى تصرفها في منافعها، وعلى خفة مئونتها في التنقل في أمكنتها وأزمنتها، ولمَ كَلِفَ

(١) الثعالبي: ثمار القلوب، ص٢٩٥.

(٢) د. عيد بلبع: العدول بالمفارقة: التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد السابع، العدد الأول، إبريل ٢٠٢٢م، ص٤.

(٣) يُنظر: الجاحظ: كتاب البغال، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، جـ٢ ص٣٣٢–٣٣٧، والأبيات المقصودة ص٣٣٣.

الأشراف بارتباطها"[١] ، بينما أبو دلامة شاعر ذو دعابة ومجون[٢]، فكيف تكون البغلة ركوبته وهو بهذه الصفة؟. . هكذا المفارقة: تفرض عند القراءة الأولية للنص، اختيارًا بين إمكانين في خَلَد المتلقي، وتناقضًا يُحَلُّ فيما بعد. وقد زال التناقض فعلاً، حين علمنا أن حال أبي دلامة مع بغلته على خلاف المعتاد، وعلى النحو الذي وَصَف!

والمفارقة الدرامية كذلك في النص الحادي عشر–الذي نقله الثعالبي أيضًا عن الجاحظ–عن قصة دجاجة أبي الهذيل–وكان من البخلاء المشهورين بالبخل[٣]–التي أهداها لمويس بن عمران، ولم تكن تليق بمويس، لكنه جامل أبا الهذيل متعجبًا من كرمه وجودة الدجاجة ، وسمنها، وطيب لحمها، فلم ينتبه أبو الهذيل إلى حقيقة المجاملة، يقول الجاحظ: "فقال: وكيف رأيتَ أبا عمران تلك الدجاجة؟ قال: كانت عَجَبًا من العجب، فيقول: وتدري ما جنسها؟ وتدري ما سنها؟. . . فلا يزال في هذا، والآخر يضحك ضحكًا نعرفه نحن ولا يعرفه أبو الهذيل. وكان أبو الهذيل أسلم الناس صدرًا، وأوسعهم خلقًا وأسهلهم سهولة، فإذا ذكروا دجاجة قال: أين كانت يا أبا عمران من تلك الدجاجة، وإن ذكروا ميلاد شيء أو قدوم إنسان قال:

---

(١) السابق، ص٢١٦.

(٢) يُنْظَر: د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، سلسلة تاريخ الأدب العربي(٣) ، دار المعارف، ط١٦، ص٢٩٢، وعمر فروخ: تاريخ الأدب العربي. الجزء الثاني: الأعصر العباسية، الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤ ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٨٤، ود. محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١ ٢٠٠٤م، ص١٦٤.

(٣) وكأن الجاحظ كان حريصًا على أن يجعله أيقونة للبخل. سأله سائل : يا أبا عثمان، من أبخل أصحابنا؟ فأجاب: أبو الهذيل، يُنظر: ألجاحظ: البخلاء، ص٦٤.

كان ذلك بعد أن أهديتها لك بسنة"[١]. وتتجسد ذروة المفارقة في الحدث الدرامي حين يؤدي فعل البطل إلى عكس ما انتواه وسعى إليه[٢]

مفارقة الأحداث:

وهي تشبه المفارقة الدرامية إلى حد كبير؛ إذ تجري فيها الأحداث على غير ما تنتظر الضحية التي تجهل حاضر الأحداث ومستقبلها، فترتبك خططها وتخيب توقعاتها وآمالها حين تكتشف الحقيقة[٣]. لكن ما لعله يميزها أن حدثًا ما يشكل فيها منعطفًا أساسًا في سرد الأحداث، وقد يكون هذا في قمة المفارقة، وقد تكون المفارقة في الحدث نفسه[٤]. ثم إن المفارقة الدرامية تُوجَد قبل اكتمال الحدث، بينما مفارقة الأحداث لا تظهر إلا بعد اكتماله[٥]. وليست مفارقات الأحداث كلها "على درجة واحدة في التوظيف، وإنما تتمايز فيما بينها في حدة الانقلاب(قوة المفاجأة)، ومن ثَمَّ شعرية المفارقة، وقدرتها على التأثير"[٦] .

---

(١) الجاحظ: البخلاء، تحقيق د. طه الحاجري، سلسلة ذخائر العرب(٢٣) ، دار المعارف، القاهرة، ط٧ ص١٣٥، والثعالبي: ثمار القلوب، ص٣٨٥.

(٢) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥٢.

(٣) السابق، ص٥٢.

(٤) الخضيري: المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم١٤٣٤هـ/نوفمبر ٢٠١٢م، ص٢٦٤، ٢٦٥.

(٥) السابق، ٢٧٣.

(٦) عمر سعيد باصريح: المفارقة في شعر البردوني، مجلة الآداب، كلية الآداب، ، جامعة الملك سعود، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني، جمادى الآخرة/مايو ٢٠١٣م، ص٤٩١.

وفي النص الثاني عشر مفارقة من هذا النوع، مكمنها في أن الدُّرَّاجَة طائر يشبه الدجاجة، ويُؤكَل كما تُؤكَل، وكلاهما شيء يسير، لكن بينما جلبت دجاجة هلال التي أكلها عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لصاحبها الخير العميم، فأنقذت رقبته من سيف الحجاج–الذي كثيرًا ما أطاح برقاب!– كان أثر الدُّرَّاجة في النص الذي بين أيدينا بالعكس؛ فمن قصتها "أن بعضَ عُمَّال الحَكَم بن أيوب الثَّقَفِيّ تغدَّى معه يومًا، فتناول من بين يديه دُرَّاجَة مشويَّة، فحَقِدَها عليه الحَكَم، فعزله عن عمله"[(١)] .

المفارقة الرومانسية:

وفي المفارقة الرومانسية يصطنع الكاتب وهمًا جماليًّا بشكل ما، ثم يدمره فجأة بأن يغير أسلوبه أو نبرته، أو بملاحظة عابرة سريعة يبديها، أو من خلال فكرة عنيفة مناقضة لما قبلها[(٢)]، والمفارقة الرومانسية بهذا المعنى قد تتداخل مع الإبراز في المفارقة اللفظية، لكنها تمتاز عنه بجنوحها إلى الخيال المثير غالبًا[(٣)] .

مفارقة التنافر البسيط:

وتسمَّى أحيانًا(مفارقة كنتليان)، وتتحقق بتجاور ظاهرتين أو شيئين غير متوافقين؛ كأن نجد على منضدة زينة امرأة ما قرآنًا ورسائل غرامية[(٤)].

(١) الثعالبي: ثمار القلوب، ص٣٨٦.

(٢) الخضيري: المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم١٤٣٤هـ/نوفمبر ٢٠١٢م، ص٢٥٧، وأثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥٢.

(٣) الخضيري: المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم١٤٣٤هـ/نوفمبر ٢٠١٢م، ص٢٥٧.

(٤) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥٢.

وتحت هذا النوع يدخل النص الثالث من نصوص البحث الراهن؛ فشهر بن حوشب من جِلَّة القُرَّاء والفقهاء، بل من كبار علماء التابعين، فيُتوقَّع منه أن يكون أمينًا على أموال الناس والودائع، لكنه دخل بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم. وكان من جرَّاء شدة المفارقة بين ما كان منتظَرًا وما حدث بالفعل، أن صارت خريطته مثلاً يُضْرَب(١) .

وتحته كذلك، النص الرابع؛ فالأعمش–على جلالة قدره وشهرته بالعلم–تأتي عليه أوقات لا يجد فيها من يحدثه من أصحابه، فيقبل على عنزٍ له يحدثها كراهة للفراغ، وخوفًا من النسيان، وحرصًا على الدرس والرواية. وفي هذا بلا شك خلخلة للمعنى، وانحراف به بعيدًا عن ممكنات الواقع، بهدف كسر أفق توقع المتلقي، ومن هنا تأتي المفارقة، ويُضْرَبُ المثل بتلك العنز، فيمن يُنَزَّل منزلةً لا يستحقها لغياب من يصلح لها(٢). ولا شك في أن من إمكانات المفارقة أنها ليست مجرد ليست وسيلة بلاغية تعتمد أدوات أسلوبية جمالية كالتضاد، أو السخرية أو التهكم، وإنما هي أشبه بموقف، أو "رؤية فلسفية تتمظهر في النص؛ لتكشف، وتفضح، وتهدم لتبني، وتشكك"(٣). ومن هذا ما في النص الخامس، الذي عن ضرطة ابن وهب في مجلس الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، بما يتناقض مع وقار المجلس ومن فيه(٤) .

المفارقة السقراطية:

اشتهر سقراط بأسلوبه في الحجاج، الذي يحاور فيه خصمه حتى يصل إلى النقطة التي يجعله فيها يفقد الثقة بالكلية فيما يتحاور فيه معه،

(١) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٤٢.

(٢) السابق، ص١٤٣، ١٤٤.

(٣) هادي عبد الحسن لعيبي: المفارقة في شعر أبي الشمقمق، ص٢٣٤.

(٤) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٧٢–١٧٥.

ويدرك أنه لم يعد يعرف شيئًا، ويقر بجهله[١]. ونماذج المفارقة السقراطية قليلة في النثر العباسي[٢]، بل في النثر العربي القديم كله. وفي النصوص محل الدراسة قد نجد حوارًا، لكنه حوار مبتور دائمًا؛ إذ هو من طرفٍ واحد، كما أنه لا يُراد لذاته، وإنما هو مجرد وسيلة فنية لمزيد من التشهير بالخصم، بتصويره في موقف الذي بُهتَ لقوة ما يسمع من حجج الإدانة؛ فلا يستطيع لملقيها جوابًا، ولا لها ردًّا. ولهذا لا نجد إلا نداءً يتكرر في أوائل المقطوعات، كما في النص الخامس: "يا وهبُ يا ذا الضرطة لا تبتئس"-"يا آل وهبٍ حدثوني عنكم"-"أيا وهبُ لا تجزع لإفلات ضرطةٍ"-"يا وهبُ إن ناقةً أظمأتَها"[٣]. وفي النص الثالث عشر: "يابن حرب كسوتني طيلسانًا"[٤] .

(١) الخضيري: المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم١٤٣٤هـ/نوفمبر ٢٠١٢م، ص٢٦٩، وهاشم أحمد العزام: المفارقة في القرآن الكريم، .٣٧.

(٢) الخضيري: المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم١٤٣٤هـ/نوفمبر ٢٠١٢م، ص٢٦٩.

(٣) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٧٣-١٧٥.

(٤) تكررت هذه الصيغة بنصها مرارًا، يُنْظَر: الثعالبي: ثمار القلوب، ص٤٨٣، ٤٨٤.

المبحث الثالث: بنية المفارقة(أركانها وأدواتها)

تحددها نبيلة إبراهيم بعناصر أربعة، هي:

أولاً–وجود مستويين للمعني في التعبير الواحد: مستوى سطحي يفهم من ظاهر الكلام، ومستوى كامن ينقب عنه القارئ محاولاً اكتشافه يسميه بعض الدارسين التمايز بين متفارقين(١)، فإذا لم تكن في المستوى السطحي معينات للقارئ على اكتشاف المستوى الكامن، فليس ثمة مفارقة. ومعنى هذا –من ناحية أخرى–أن القارئ شريك أساسي في صنع المفارقة(٢)، "وليس من الضروري أن يكون المستور هو المراد في الخطاب، أو أنه هو ما يثير الانتباه، كما رأى ميويك Muecke وبعض الباحثين العرب؛ فقد يكون العكس، أي الظاهر هو ما يثير الدهشة، و يخلق المفارقة ؛ على اعتبار أن السياق العام لوعي المتلقي يتعلق بالمعنى المستور، وجاء الخطاب في الظاهر بخلافه؛ فشكل مفارقة معه"(٣) ، بل"إن قوة المفارقة لا تقضي باتباع الاتجاه الآخر، إنما تبين لنا أن المعنى يأخذ الاتجاهين معًا والبعدين معًا. المقابل للحس السليم ليس هو الاتجاه الآخر، وهذا الأخير يشكل فقط راحة للعقل وبادرته المرحة"(٤) .

---

(١) ويُنظر كذلك: يوسف أحمد إسماعيل: بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، العدد الثامن عشر، إبريل ٢٠١٦م ، ص٨٧، وسليمة محفوظي: بلاغة المفارقة في الأدب العربي، ص٥٠.

(٢) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٤٩.

(٣) يوسف أحمد أسماعيل: بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، العدد الثامن عشر، إبريل ٢٠١٦م ، ص٨٧.

(٤) جيل دولوز: عن المفارقة، ترجمة إدريس كثير، مجلة علامات، العدد الخامس عشر، ٢٠٠١م، ص٤٦.

ثانيًا–لا يصل القارئ للمفارقة إلا من خلال إدراك التعارض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنص

ثالثًا–غالبًا ما ترتبط المفارقة بالتظاهر بالبراءة، بل قد يصل الأمر إلى حد التظاهر بالسذاجة أو الغفلة.

رابعًا–لابد من ضحية في المفارقة، قد تكون الكاتب. هذه الضحية تدعي لنفسها ما هو مبالغ فيه على سبيل الافتراض وحسب، وهو ما يجعلها هشة عزلاء، وعُرضة لهجوم من هو أقوى منها[١]

صانع المفارقة وضحيتها

وليست المفارقة في متناول كل شاعر، ولا هي مجرد استعراض بلاغي، بل فلسفة يبني الشاعر عليها حياته، أو نظرته للحياة والناس، وهذا لا يتأتى إلا إذا اكتمل في المبدع أمران:

١–فقه عميق بالحياة والناس في أشكالها المتقلبة والمتداخلة، تذكيها طبيعة ساخرة ذكية.

٢–قدرة فنية متناهية على التعبير عن التداخل والتشابك "بمفارقة" مثيرة مبدعة[٢]، فضلاً عن ظروف حضارية وثقافية ترفد هذا الاستعداد الفطري وتنميه[٣]، ولابد لتلك المفارقة من صانع، كما أنه لابد لها من ضحية، تدَّعي لنفسها ما هو مبالغ فيه على سبيل الافتراض وحسب،

---

(١) نبيلة إبراهيم: ص١٣٣.

(٢) ساسية عيساني: شعرية المفارقة عند أبي تمام، مجلة منتدى الأستاذ، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، الجزائر، العدد الثامن عشر، جوان ٢٠١٦م، ص٣٤٤.

(٣) عبد الهادي خضير: المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م، ص٦٢.

وهو ما يجعلها هشة، وعُرضَةً للهجوم ممن–أو مما–هو أقوى منها. وهذا مما يجعل المفارقة منطوية على المضحك المبكي في آن واحد[١].

وفي النصوص التي بين أيدينا، تتنوع الصور التي يَرِدُ فيها صانع المفارقة وضحيتها، على خمسة أضرب، كالآتي:

أ–قد يكون صانع المفارقة هو ضحيتها:

كما في النص الأول؛ فالصانع فيه والضحية هو أشعب. وكذلك الأمر في النص العاشر، لكن عبر معادل موضوعي له، هو شاته التي قادها الطمع إلى حتفها، حين كانت فوق سطح، فرأت قوس قُزَح ظنته جبل قَتٍّ، فسقطت فاندق عنقها! [٢]. والأمر نفسه في النص السادس؛ فأبو حكيمة صانع المفارقة هو ضحيتها، وقد فعل هذا عن عمد؛ اضطرارًا في البداية، ثم استثمارًا لهذا التميز في موضوع جديد بعد ذلك. يقول الثعالبي: "ولقد استفرغ شعره في ذلك، وأتى بالنوادر والمُلَح والسوائر، ويُقال إنه كان يكتب لإسحق بن إبراهيم المصعبي فاتهمه بغلام له، فأخذ في هذا الفن من الشعر، تنزيهًا لنفسه عن التهمة، حتى صار عادة له"[٣] .

كان هذا في البداية، لكنه توسع في هذا الأمر حتى إن له بين أيدينا اليوم ديوانًا كاملاً مطبوعًا في هذا الغرض! [٤]. وقد نجح فيما حاول حتى أغرى غيره من الشعراء بمجاراته–أو معارضته–يقول الثعالبي: "وأراد كشاجم

(١) د. نبيلة إبراهيم: المفارقة، ص١٣٣.

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٢٧، ٣٠٧.

(٣) السابق، ص١٨٩.

(٤) يُنْظَر: ديوان أبي حكيمة راشد بن إسحق الكاتب في الأيريات، منشورات الجمل، ١٩٩٧م.

أن يتعاطى فن أبي حكيمة، فما شق غباره على ارتفاع مقداره في الشعر"[١]. وفي النص السابع صانعُ المفارقة وضحيتُها أبو دلامة، عبر معادل موضوعي له هو بغلته–كما في النص الثاني–وهو يعمد إلى المفارقة في إطار ما عُرِف عنه من كُديَة، واستجداء يتوسل إليه بكل سبيل[٢] .

ب–وقد يكون صانع المفارقة مجهولاً، والضحية شخصًا معروفًا محددًا:

كما في النص الثاني؛ فصانعها فيه شاعر مجهول، وضحيتُها سعدان صاحب ديوان يحيى بن خالد[٣]، وكذلك في النص الثالث، المفارقة صانعها شاعر مجهول، وضحيتُها شهر بن حوشَب القارئ الفقيه المعروف[٤]. وفي النص الرابع صانعها غير محدد أيضًا، وضحيتها الأعمش، الذي نتعاطف معه أكثر مما نضحك من فعله ، حتى تكاد العبرة تختلط بالابتسامة؛ إشفاقًا على حال هذا العالم الذي لا يجد من يعرف له قدره، وينزله منزلته[٥]. وجهلُنا بصانع المفارقة يُضفي عليها نوعًا من العموم، ويوحي بأن عليها نوعًا من التوافق الاجتماعي.

جـ–وربما كان للمفارقة أكثر من صانع معروف، والضحية واحد معروف محدد:

كما في النص الخامس؛ إذ كانوا عددًا من الشعراء، أسهم كل منهم فيها بنص شعري. منهم ابن الرومي، وعلي بن البصير، وعيسى بن

(١) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٩٠.
(٢) السابق، ص٢٩٤.
(٣) السابق، ص١٢٨.
(٤) السابق، ص١٤٢.
(٥) السابق، ص١٤٣.

القاشاني، وأحمد بن أبي طاهر، وابن بسام[١]. أما الضحية فواحد، هو وهب بن سليمان بن وهب، صاحب بريد الحضرة[٢]. وفي النص الحادي عشر، صانع المفارقة مجموعة من الأصدقاء، منهم الجاحظ ومويس بن عمران، وضحيتها أبو الهذيل[٣]، وربما يوحي هذا الضرب أيضًا بنوع من التوافق الاجتماعي، لكنه دون النوع السابق إلى حد كبير.

د-بينما في المقابل، قد يكون صانع المفارقة واحدًا وضحيتها جماعة، وكلاهما معروف:

نرى هذا في النص الرابع عشر؛ فصانعها أبو نواس، وضحيتها الرقاشيون، والوسيلة القِدْر، التي تفنن أبو نواس في تصوير ضآلتها ونظافتها[٤]، ويرى الباحث هذا النوع دون سابقه وَقْعًا وأثرًا

هـ-وقد يكون الصانع للمفارقة غير ضحيتها، وكلاهما محدد معروف:

ففي النص الثامن، صانع المفارقة أبو غلالة المخزومي الشاعر، وضحيتها طيَّاب الحَمَّار، والوسيلة حماره الذي يصف أبو غلالة ضعفه فيبالغ في الوصف[٥] . وفي النص التاسع، صانع المفارقة الحمدوني

(١) الراجح أن المقصود هنا ابن بسام البغدادي الشاعر، لا ابن بسام الشنتريني طبعًا؛ فالأول تُوفِّي عام ٣٠٢هـ، بينما الثاني مات بعد وفاة الثعالبي بكثير، عام٥٤٢هـ، ثم إن وفاته كانت في الأندلس. يُنْظَر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي. الأعصر العباسية، الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤ ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٣٨٦.

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٧٢-١٧٥.

(٣) السابق، ص٣٨٥.

(٤) السابق، ص٤٩٢.

(٥) السابق، ص٢٩٩ وما بعدها.

الشاعر، وضحيتها شخص اسمه سعيد، والوسيلة شاة سعيد، كحمار طيَّاب[١].

والحمدوني هذا هو هو صانع المفارقة في النص الثالث عشر بطيلسان ابن حرب، وضحيتها الحقيقي محمد بن حرب صاحب الطيلسان[٢]، وإن كان ضحيتها في الظاهر هو الحمدوني كما يزعم. وإلحاح الحمدوني على استعمال المفارقة في أشعاره دليلٌ على إحساسه بأنه بارع في هذا الضرب الجديد من الشعر ، متميز فيه وبه، واجتهاده فيه لهذا السبب. وفي النص الخامس عشر أيضًا صانع المفارقة وضحيتها شخصان محددان؛ فالأول العباس المصيصي الخياط المعروف بالمشنوق، والثاني يحيى بن وهب، والوسيلة دينار أهداه يحيى للعباس[٣]

وهناك ضرب من المفارقة الوجودية–إن صح هذا التعبير–يحدثنا عنه بعض الدارسين لهذه الظاهرة، فيقول إن" أعلى درجة لصانع المفارقة، كما يراها كير كجورد كذلك، هي تلك التي يدعي فيها الحكمة الطنانة البلهاء، متظاهرًا بأنه يعرف كل شيء، وأنه قادر على هداية كل الناس، وهو في قرارة نفسه يعرف أن الموضوع فراغ في فراغ. ثم إنها تلك التي يكون فيها صاحب المفارقة مليئًا بالحماسة، وهو يعلم أنه يزايد على هذه الحماسة الغبية "[٤] ، وفي هذا النوع"ما يميز صانع مفارقةٍ عن صانع مفارقة آخر هو المسافة التي تفصل كل واحد منهما عن الواقع"[٥]

(١) السابق، ص٣٠٦ وما بعدها.

(٢) السابق، ص٤٨٢ وما بعدها.

(٣) السابق، ص٥٣٩.

(٤) نبيلة إبراهيم: ص١٣٦، وأشار باحث إلى مثل هذا عند المتنبي، يُنظر: عبد الهادي خضير: المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م، ص٦٢.

(٥) نبيلة إبراهيم: ص١٣٨.

المتلقي

لاشك في أن الأديب والنص والمتلقي عناصر أساسية مشتركة في أي عمل أدبي، وأن المفارقة –كأية ظاهرة أدبية أخرى–صنعة لغوية ماهرة يلتقي فيها صانعها ومستقبلها، غير أن للمتلقي فيها دورًا بارزًا، وحضوره فيها أكبر من المعتاد، مهما تعددت صور المخاطبين ونسبيتها–لأن مخالفة الرسالة لمدلولها الأصلي هو هدف المبدع في الأساس–إلى الدرجة التي دعت بعض الدارسين للتساؤل عن المفارقة: أهي سلطة إبداعٍ أم سلطة تلقٍ[١]

نعم؛ فالمفارقة وسيلة أسلوبية تعزز التلقي وتنميه[٢]. والمتلقي هو الذي عليه تأويل المفارقة بالاستعانة بالسياق والقرائن المرافقة التي تعينه على أن ينجح في الوصول إلى ما يدور في ذهن الكاتب[٣]؛ من منطلق أن "المفارقة في الأصل نمط خاص من أنماط استعمال اللغة يؤدي وظيفة تواصلية تعتمد على التعبير غير المباشر الذي يدخل المتلقي في عملية التواصل بأن ينشأ المعنى المقصود بداخله فلا يقف المتلقي موقفًا سلبيًّا"[٤]

(١) د. عيد بلبع: العدول بالمفارقة: التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد السابع، العدد الأول، إبريل ٢٠٢٢م، ص٣، ويُنظر أيضًا: فادية محمد عبد السلام: المفارقة في التراث النقدي، ص٢١٥.

(٢) كمال رقيق: المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، ص٥٩.

(٣) هناء كامل علي إبراهيم: المفارقة خطابًا حجاجيًّا، ص١٣٩، وسليمة محفوظي: بلاغة المفارقة في الأدب العربي، ص٥٠.

(٤) د. عيد بلبع: العدول بالمفارقة: التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد السابع، العدد الأول، إبريل ٢٠٢٢م، ص١٤.

يقول برجسون: "فنحن لا نتذوق المضحك في حالة شعورنا بالعزلة ، والضحك في حاجة إلى صدى. . . فضحكنا هو أبدًا ضحك جماعة" (١)

وفيما يخص المتلقي في النصوص محل الدراسة، كان الأمر كما يأتي:

أ-قد يكون المتلقي عامًّا غير مقيد بزمان ولا مكان:

وفي النص الثاني، المتلقي هو القارئ العام غير المقيد بزمان أو مكان أو ظروف بعينها؛ ذلك أن موضوع المفارقة سرى مسرى المثل، والكناية عن الرشوة(٢)، وكذلك الأمر مع خريطة شهر في النص الثالث(٣)، وعنز الأعمش في النص الرابع(٤)، وحمار طيَّاب في النص الثامن(٥)، وشاة سعيد في النص التاسع(٦)، ودجاجة أبي الهذيل في النص الحادي عشر(٧)، عشر(٧)، ودُرَّاجة الحكم في الثاني عشر(٨)، وقِدْر الرقاشيين في النص الرابع الرابع عشر(٩)، ودينار يحيى في النص الخامس عشر(١٠)؛ فالمتلقي للمفارقة للمفارقة في هذه النصوص كلها مطلق جمهور القراء للشعر والسامعين له

(١) هنري برجسون: الضحك، ترجمة سامي الدروبي، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م ص١٥.

(٢) يُنْظَر: الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٢٨.

(٣) السابق، ص١٤٢.

(٤) السابق، ص١٤٣.

(٥) السابق، ص٢٩٩.

(٦) السابق، ص٣٠٧.

(٧) السابق، ص٣٨٥.

(٨) السابق، ص٣٨٦.

(٩) السابق، ص٤٩٢.

(١٠) السابق، ص٥٣٩.

ب- وقد يكون المتلقي أقل عمومًا، ويتمثل في مجموعة من المعاصرين:

فالمتلقي في النصين الأول والعاشر مجموعة من معاصري أشعب ومجالسيه ومعارفه؛ بدليل أنه يتوجه إليهم بخطابه؛ لتحقيق أهداف خاصة(١). والمتلقي في النص الخامس أيضًا معاصرو وهب بن سليمان من من خاصة رجال الدولة والعامة؛ بقرينة أن الهدف تشويه صورته سياسيًّا وإعلاميًّا(٢)، وكذلك كان الأمر في بدايته في النص السادس، حين أراد أبو حكيمة درء تهمة التعلق بغلام عن نفسه، ثم اتسعت دائرة الجمهور ليصبح مطلق القراء والسامعين، حين استمرأ الأمر، وأكثر من الأشعار في الأيريات(٣). أما في النص الثالث عشر، فالمتلقي هو عموم جمهور الأدب في عصر الحمدوني الشاعر ومحمد بن حرب الضحية؛ بقرينة تمثُّل الحمدوني بشعرٍ ذائع، مما يتغَنَّى به الناس في عصرهما(٤)

جـ-وربما كان المتلقي شخصًا أو مجموعة أشد تحديدًا مما سبق:

يبدو هذا في النص السابع، الذي يبدو فيه أن أبا دلامة يستجدي شخصًا ما من معاصريه بطريق التعريض، حين يقول في آخر بيت من قصيدته في وصف ضعف بغلته وعيوبها:

فأبدلني يا ربِّ طِرْفًا. . . يَزِينُ بحُسْنِ مركبه جَمَالِي(٥)

والنص الحادي عشر-الذي عن دجاجة أبي الهذيل-فالجمهور المتلقي فيه أصدقاء أبي الهذيل والجاحظ ومويس بن عمران(٦)

(١) السابق، ص١٢٧، ٣٠٧.

(٢) السابق، ص١٧٢.

(٣) السابق، ص١٨٩ وما بعدها.

(٤) السابق، ص٤٨٣ وما بعدها.

(٥) السابق، ص٢٩٦.

(٦) السابق، ص٣٨٥.

النص

من غير المقبول الحديث عن بنية المفارقة في نص من النصوص دون الالتفات إلى ما يسميه بعض الباحثين "الاستراتيجية في بلاغة الخطاب "التي تقوم عليها هذه البنية في النص، "وحينها يكون النص، بناءً ودلالة، ينهض على"المفارقة"، وتكون المفارقة الفاعل الجوهري في بلاغة الخطاب وإن شاركتها فواعل أدبية أخرى في النص"[١]. بمعنى النظر إلى المفارقة على أنها "العنصر المهيمن"–وفق تعريف ياكبسون له–وهو ذلك العنصر المحوري في العمل الفني، الذي ينظم العناصر الأخرى ويحددها، ويُدخل عليها بعض التحولات الدلالية؛ ومن ثم يضمن تماسك البنية الفنية وتلاحمها[٢] .

ومن ناحية البنية الداخلية التركيبية للمفارقة، تتمثل في طرفين: أولهما الطرف الذي يشكل المقدمة المؤدية إلى النتيجة (التي هي الطرف الثاني)، ويمثل المنطلق والتمهيد المحفز لذهن المتلقي لاستقبال مفاجأة المفارقة، وله أثر في تعميق وقع المفارقة، وترسيخ بصمتها المداعبة لمجسات التذوق في ذهن المتلقي، والطرف الثاني: المتبني لصدمة المفاجأة والكاسر لأفق توقع المتلقي، فضلاً عن كونه الطرف الصانع للذة الإدهاش؛ إذ إنه الطرف الحامل للجانب الضدي من المعنى، الذي يتطلب مشاركة المتلقي–أو ضحية المفارقة–في استنباط الدلالة المستهدفة من وراء التضاد[٣] .

(١) يوسف أحمد إسماعيل: بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، العدد الثامن عشر، إبريل ٢٠١٦م، ص ٨٨.

(٢) د. سيزا أحمد قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٠٥، ١٠٦.

(٣) مولود محمد زايد: بنية المفارقة ودلالاتها، ص٦٨–٧١.

والملاحَظ على بنية المفارقة في النصوص محل الدراسة أنها تتجسد في بيت من الشعر أو بيتين، أو أكثر قليلاً، لكن بما لم يجاوز المقطوعة الشعرية إلا مرة واحدة؛ ربما لأن المفارقة فيها تمتُّ للهجاء بوشيجة قوية، ومن سَنن القدماء في الهجاء أنه "حسبُك من القلادة ما أحاط بالعنق"

وكثيرًا ما يسير بناء تلك المقطوعة الشعرية وفق قواعد ثابتة؛ ففي النصين الثامن والتاسع نجد في البيت قبل الأخير من المقطعة إشارة إلى التغني بالبيت الأخير، الذي يحوي دائمًا تضمينًا لبيت من الغَزَل تحديدًا، الذائع التغني به في عصره، السائر على ألسنة الناس فيه(١) .

وفي النص الأول: نجد تمهيدًا للمفارقة، فيما يخص أشعب الذي "كان صاحب نوادر، وصاحب إسناد "هذه خطوة أولى، تليها الثانية، التي تُعَمِّقُ مجراها، وتزيد إحساسنا بها: "وكان يُحَدِّثُ فيقول: حدثنا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه–وكان يبغضني في الله–فإذا قيل له: دَعْ ذا، قال: ليس للحق مُتَّرَك"(٢). وواضح هنا توظيف الجملة الاعتراضية في بناء المفارقة؛ فرواية حديث النبي–صلى الله عليه وسلم–متوقَّع من صاحب الإسناد، لكن غير المتوقَّع، ومكمن المفارقة، هو ما جاء في هيئة الجملة الاعتراضية: "وكان يُبغضني في الله"؛ فبينها وبين ما يكتنفها من كلام قبلها وبعدها تناقض ظاهر/ظاهري، والمستمعون يدركون هذا التناقض، وينصحون أشعب بأن يتخلى عن هذه الجملة التي لا تخدم الهدف المباشر من إسناده الحديث، أعني: ثقة المستمعين فيما ينقله، لكن أشعب يُصر على الإبقاء عليها؛ لوعيه بالمفارقة التي تنتج عنها؛ وإصراره على تلك المفارقة.

(١) يُنظَر: الثعالبي: ثمار القلوب، ص٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٧.

(٢) السابق، ص١٢٧.

بعد هذه الخطوة تأتي خطوة ثالثة في رحلة المفارقة الأشعبية، تتمثل في قوله: "تربيتُ أنا وابن أبي الزناد في مكان واحد، فكنتُ أسفُلُ وهو يعلو، حتى بلغْنَا إلى ما ترون"[١] ، وهذه مفارقة بين نتيجتين متفاوتتين لفعل واحد، هو تربية عائشة بنت عثمان لهما، وكفالتها إياهما. كما أنها مبادرة بالهجوم على الذات اتقاءً لهجوم الآخرين عليها[٢]. وبعد هذا لا نجد في النص الأول ما يعنينا؛ إذ ما بقي شواهد على طمع أشعب، وحكايات معروفة في هذا الصدد

أما عن النص الثاني، فلعل من الممكن أن نسمِّي ما في هذا النص "مفارقة بالكناية"، والكناية كما هو معلوم تغلف المعنى بغلاف شفيف، كثيرًا ما يستثمره الأدباء فنيًّا. . فإن لم تكن مفارقة بالكناية، فهي–على أية حال– مفارقة ترسخت مجتمعيًّا حتى صارت كناية عن الرشوة؛ فسعدان–صاحب ديوان يحيى بن خالد–اشتُهر بالرشوة، ولسبب ما لم يذكره النص، عُبِّرَ عن تلك الرشوة بصب الزيت في قنديله.

ثم يُعمق الكاتب المفارقة، حين يقول إن يحيى بن خالد لما اشتهر أمر رشوة سعدان، عزله، وولى مكانه أبا صالح بن ميمون، فكان يربو على سعدان في الارتشاء وفرط الطمع حتى قيلت فيه أشعار هو الآخر، فعزله يحيى وأعاد سعدان إلى عمله[٣]. وفحوى الخطاب هنا ومضمون الرسالة، أنه لا فائدة؛ فالخلف شر من السلف، والفساد ضارب إلى الأعماق!

---

(١) السابق، ص١٢٧.

(٢) لعلها صورة من صور الحفاظ على الوجه التي يحدثنا عنها التداوليون، يُنظَر: جورج يول: التداولية، ترجمة د. قُصَيّ العتَّابيّ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١ ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٩٩–١٠١.

(٣) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٢٩.

ومما يدعم المفارقة في النص الثالث، مفارقة صغرى على مستوى كلمة "دراهم"؛ ذلك أن شهر بن حوشب–على جلالة قدره–لم يختلس خريطة فيها جوهر أو دنانير، بل دراهم، وكأن الراوي يريد أن يقول إنه باع دينه بثمن بخس دراهم معدودة، وكان فيه من الزاهدين. والواقع أن المفارقة عمل عقلي في الأساس، بينما العاطفة من أخص خصائص الشعر، ولا بأس في أن يخلط الشاعر تلك العاطفة ببعض العقلانية، لكن قدرًا مبالغًا فيه من إعمال العقل مضر بالشعر، ويسمه بالجفاف، ويجعله عملاً ذهنيًّا غير مستساغ(١)، وهو ما حدث هنا في مواضع عدة.

أما أهم ما عثر الباحث عليه من مكونات فنية لبنية المفارقة وأدوات تشكيلها، فتسع أدوات، هي الآتي:

١–التنكير:

النكرة من حيث هي نكرة تحتمل الدلالة على التعظيم، كما تحتمل الدلالة على نقيضه الذي هو التحقير. والتعظيم متبادر إلى الذهن هنا؛ بقرينة أن بين أيدينا خطابًا موجهًا من الشاعر إلى شخص محدد في سياق الكلام عن هبة من ذلك الشخص للشاعر: "يابن حرب كسوتني طيلسانًا"، ثم بقرينة أن الطيلسان من ثياب طلاب العلم في ذلك العصر(٢). ثم تكون المفارقة ، حين تدل قرينة لفظية على التحقير، هي النعت الذي في الشطر

(١) عبد الهادي خضير: المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م، ص٦٢، ومحمد بن منصور أبا حسين: لغة المفارقة، دارة الملك عبد العزيز، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، ربيع الأول ١٩٩٠م، ص١٧١.

(٢) حتى إن ابن خلكان يذكر أن مجلس داود الظاهري كان يحضره أربعمائة صاحب طيلسان أخضر. يُنظَر ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢ ص٢٥٦.

الثاني من البيت: "أمْرَضَتْه الأوجاعُ فهو سقيمُ". ويتكرر هذا الصنيع، بما يدل على أنه مقصود، كما في:

يابن حرب كسوتني طيلسانًا. . . أمْرَضَتْه الأوجاعُ فهو سقيمُ[١]

يابن حرب أَطَلْتَ فقري برفوي. . . طيلسانًا قد كنتُ عنه غنيًّا[٢]

يابن حرب كسوتني طيلسانًا. . . مَلَّ من صُحْبَة الزمان وصَدَّا[٣]

يابن حرب كسوتني طيلسانًا. . . يزرعُ الرفْوُ فيه وهو سِبَاخُ[٤]

والحق أن بداية بسط القضية بلفظ نكرة بهذا الشكل بداية موفقة لموقف المفارقة؛ إذ الهدية مجرد طيلسان كأي طيلسان، لا يثير في نفس المتلقي التفاتًا خاصًا له، بل يخدم حالة "عدم التأثر "عنده، وهي مهمة جدًّا "فلا يمكن للمضحك أن يُحدث هزته إلا إذا سقط على صفحة نفس هادئة تمام الهدوء. . فاللامبالاة وسطه الطبيعي، وألد أعدائه الانفعال"[٥]. ثم إن هذا الانسجام الصوتي الناتج عن تكرار عبارة: "يابن حرب كسوتني طيلسانًا "في الأبيات، يصحبه توتر دلالي، يثير في النفس إحساسًا بالتناقض هو سر الروعة الفنية من ناحية، وروح المفارقة ههنا من ناحية أخرى!

(١) الثعالبي: ثمار القلوب، ص٤٨٣.

(٢) السابق، ص٤٨٣.

(٣) السابق، ص٤٨٣.

(٤) السابق، ص٤٨٣.

(٥) هنري برجسون: الضحك، ترجمة سامي الدروبي، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م ص١٤.

٢ –التضاد:

تكون المفارقة أشد وقعًا وأقوى تأثيرًا ، عندما يشتد التضاد أو التنافر أو التناقض، فضلاً عما يُفضي إليه هذا التفريق من هُزء وسخرية وتهكم وتعريض، بصيغة فنية تخلب الألباب، وتستحوذ على انتباه القارئ، وتثير في نفسه إحساسًا بالمفارقة يستقطب الاقتناع، ويحقق التأثر والاستجابة والمتعة، وهنا يكمن المعنى الأدبي للمفارقة(١). وأديب المفارقة عادةً ما يقرر شيئًا ثم يلغيه، والتضاد–بشقيه: الطباق والمقابلة–من أكثر الفنون البديعية ذيوعًا، كما أنه من أسس الصورة الشعرية، وضرورة من ضروريات البناء السياقي، تتجاوز دور الحلية البديعية إلى الدخول في صميم المفارقة(٢)، و"اللبنة الأساسية التي تقوم عليها بنية المفارقة، وتتشكل به هويتها المعنوية والجمالية أيضًا، وهذا المبدأ نجده طاغيًا وحاضرًا بشدة في جميع الدراسات التي تناولت المفارقة"(٣) ، حتى إن ريتشاردز يعرف المفارقة بأنها توازن الأضداد(٤) .

وشدة التضاد والتنافس بين وجهتي النظر المعروضتين هي التي تدفع المفارقة إلى ذروتها الفنية(٥)، ولعله لهذا السبب يعمد كثير من الدارسين إلى إلى ليّ أعناق النصوص ليدخلوها في المفارقة، لا لشيء إلا لتضمنها

(١) كمال رقيق: المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، ص٥٨، ٦١.

(٢) فادية محمد عبد السلام: المفارقة في التراث النقدي، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، العدد الثامن عشر، الجزء الثاني، ٢٠١٧م، ص٢١٩.

(٣) مولود محمد زايد: بنية المفارقة ودلالاتها، ص٦٦.

(٤) د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص١٥.

(٥) ساسية عيساني: شعرية المفارقة عند أبي تمام، ص٣٤٧.

التضـــاد اللغـــوي أو الســـياقي أو الـــدلالي بدرجـــة أو أخـــرى، غـــافلين–أو متغافلين–عن الشق الثاني المكمل لبناء تلك المفارقة، شق الطرافة الناتجة عن المفاجأة؛ "فإذا ما تحققت من وراء هذا التضاد خصيصة المفاجأة المناورة لوعي المتلقي، كان هذا الطباق مؤسلبًا بما يمنح المفارقة حضورها الواضح"(١) .

وفي النص الخامس(ضرطة وهب)، تكتسب المفارقة عمقًا، بالربط بين الضرطة التي ندت من وهب في مجلس عام، وبخله وآله، لاسيما مع الاتكاء على المقابلة التي تبرز المعنى وتوضحه، بين الضرطة التي يُحَلُّ رباطُها، والدرهم الذي يُشَدُّ رِباطًا في البيت الثاني من قول أحد الشعراء:

يا آل وهبٍ حَـــدِّثوني عنكمُ. . . لمَ لا ترونَ العدلَ والإقساطا

ما بالُ ضرضتكم يُحَلُّ رِباطُها. . . عفوًا ودرهمكم يُشَدُّ رِبـــاطا(٢)

كما أن المقابلة حاضرة في البيت الأول من ثلاثة أبيات لأبي نواس في وصف قدر الرقاشيين، في النص الرابع عشر(٣)، ثم التضاد هو جوهر بناء المفارقة في القرن الخامس عشر، في قول العباس المصيصي: "دينار يحيى زائد النقصان"(٤) .

٣–الاقتباس(التضمين) (٥):

(١) مولود محمد زايد: بنية المفارقة ودلالاتها، ص٦٦.

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٧٣.

(٣) السابق، ص٤٩٢.

(٤) السابق، ص٥٣٩.

(٥) يجعل كثير من الدارسين التضمين نوعًا من أنواع المفارقة، ويرى الباحث أن الأولى الأولى جعله وسيلة فنية لها، ولبنةً في بنيتها؛ ومن ثم جعل الحديث عنه في هذا المبحث.

يكون التضمين–كما هو معروف–بأن يُدرج الكاتب في نصه نصوصًا أخرى من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، أو الشعر أو النثر الرائجين في عصره، أو الوقائع والحكايات المشهورة في ثقافتنا. وهذا التضمين يُكسب حِجَاج الأديب زخمًا ومصداقية، ويضرب به جذورًا أقوى في أرض هذه الثقافة. ولأن لكل كاتب خصائص أسلوبية مميزة يتفرد بها عن غيره، قد تنشأ المفارقة من أن يكون النص المقتبس مسوقًا في غير ما يناسبه من ناحية المعنى أو الناحية المنطقية أو التاريخية . . . إلخ ويكتسب التناص أهمية متزايدة عند الحديث عن المفارقة؛ إذ له دور مهم في توجيه دفة المفارقة نحو التصعيد أو التهدئة[١]، خاصة إن نظرنا إلى المفارقة على أنها تمثل "موقفًا من التراث الحضاري حين تتجه إلى إعادة تقييم التراث الفني الموروث، من خلال إعادة صياغته وتشكيله، وتفسيره ، وتحويله"[٢]. وحين يعمد المتكلم إلى اتخاذ موقف لا يدل على تبنيه الكامل لما يقول، تنشأ عن هذا مفارقة واضحة. وقد يُعَبَّرُ عن ذلك بعلامات التنصيص التي نستخدمها فنضفي على العبارة التي بينها صفة التخصيص لجماعة معينة أو شخص محدد، وإلى تباعدنا–في الآن ذاته–عن اتخاذ تلك اللهجة في حديثنا[٣] .

وقد أهدى محمدُ بن حرب الحمدونيَّ طيلسانًا خَلَقًا، وكان الحمدوني يحفظ شعرًا مشهورًا–آنذاك–لأبي حُمْرَان السُّلَمِيّ في وصف طيلسان له

(١) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥١.

(٢) د. سيزا أحمد قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٠٦.

(٣) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة(١٦٤) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م، ص٩٤، ٩٥.

قديم، يُخاطب فيه ذلك الطيلسان، ومن سمات خطابه ذاك الالتفات إلى ضمير الغائب، والمبالغة التي قد تصل إلى درجة الغلو[١]، فأعاد الحمدوني إنتاج هذا الخطاب، ونسج على منوال أبي حُمران، وحذا حذوه، فنظم شعرًا يصف فيه طيلسان محمد بن حرب المُهْدَى له، وراقه هذا، وبرع فيه، ويبدو أنه لقي رواجًا وقبولاً عند أهل عصره، وانثالث عليه المعاني حتى قال في وصف ذلك الطيلسان قرابة مائتي مقطوعة–أي ما يعادل ديوانًا كاملاً لو جُمِع!–لا تخلو مقطوعة منها من معنى بديع، يقول الثعالبي: "وانثالت عليه المعاني، حتى قال في وصف الطيلسان قرابة مائتي مقطوعة، ولا تخلو واحدة منها من معنى بديع، وصار الطيلسان عُرْضَةً لشِعرِه، ومثلاً في البِلَى والخُلوقَة"[٢] .

ومن الملاحظات المبدئية العامة على هذا، تلك الكثرة اللافتة للنظر في نظم الشعر في موضوع واحد جديد، وكأني بالشاعر مدركًا لأنه يختط نهجًا جديدًا في الشعر، يريد أن يُنسَب له، والحرص على أن ينسى المتلقون أن للفكرة أصلاً عند أبي حمران السلمي، وذلك بالإكثار سعيًا إلى الغلبة بالكم، والابتكار في كل مقطوعة لتأكيد الغلبة بالكيف. وليس هذا غريبًا عن طبيعة المحاكاة في الأدب؛ "فالمعارضة لا تستهدف محاكاة الواقع بل محاكاة الأدب نفسه متحققًا في نص آخر؛ فالشيء المحاكى ليس هو الطبيعة الخارجية، بل هو شيء لغوي مصنع من قبل ومتاح للناس. . . فالأدب يحاكي الأدب، بمعنى أن اللغة تحاكي لغة ولا تحاكي أشياء قائمة خارجها"[٣]. والهدفُ إنتاج نص جديد، ينتج عن التحام النصين وامتزاجهما

(١) يُنظَر: الثعالبي: ثمار القلوب، ص٤٨٢، ٤٨٣.

(٢) السابق، ص٤٨٣.

(٣) د. سيزا قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٠٧.

في تركيب متكافل[١]، وقد تنتج المحاكاة المبالغ فيها–من الناحية العددية ههنا–للأعمال الفنية ما يمكن أن نسميه الكاريكاتير[٢] .

وظاهرة "التضمين" أو الاقتباس من القرآن الكريم ماثلة في المقطوعات الأربع الأولى، وهذا الاستناد إلى القرآن استناد لأقوى دعائم الثقافة العربية الإسلامية وعمادها الأول، والقاسم المشترك الأهم بين الشاعر والمتلقين، وما مثله داعم لموقف ذلك الشاعر ووجهة نظره، ثم نجد الاستناد إلى الحديث النبوي الشريف وتضمينه في نص واحد. ثم يُضَمِّن شعرًا لآخرين في خمس مقطوعات من اثنتي عشرة مقطوعة. هذا التضمين لأشعار كانت ذائعة الصيت في عصرهم، ومما يُغَنَّى في العصر العباسي أيضًا[٣]، وهو يُصرِّح باسم صاحب الطيلسان في معظم المقطوعات، متحدثًا إليه أو عنه، تسع مرات في اثنتي عشرة مقطوعة وردت في ثمار القلوب.

(١) السابق، ص١٠٨.

(٢) السابق، ص١٠٨.

(٣) يُنظَر: الثعالبي: ثمار القلوب، ص ٤٨٤ السطران الأول والخامس.

٤-المبالغة:

ثم تأتي المبالغة لتكمل بناء المفارقة وتضمن تماسكه، وذلك حين يعمد الكاتب إليها وهو يصور موقف الضحية الغافل عما يدور من حوله. و"الخداع بوصفه مغالطة حجاجية لا ينفصل عن المبالغة الشعرية"[١] ، وفي النصوص محل الدراسة مبالغات، كثيرًا ما يجاوز بها أصحابها نطاق الإغراق إلى حد الغلو[٢]، حين يتلاعب الأديب بالحقائق، ويُضخم الأوصاف والأفعال؛ ربما رغبةً في الوصول بالصفة والمعنى إلى أقصى الممكن، وما كانت المبالغة الشعرية عند القدماء إلا وسيلة لإبراز المعاني وتأكيدها، والوصول بها إلى أقصى غاياتها، ووصف الشيء بغاية ما يمكن أن يصل إليه الوصف[٣]. ومن ذلك ما يأتي:

في النص الخامس:

قول أبي علي البصير:

قتلتَ مُفَلَّجًا وكان لَعَمْرِي. . . عُدَّةً في الحرب للسلطان[٤]

وقول أحمد بن يحيى البلاذري:

فإنها كانت تروعُ العِدَا. . . ما بين مصر وخراسان

يا ضرطَةً لو أنها شَرَّقَت. . . أودَتْ بصَنْعَا وسجستان[٥]

---

(١) د. عيد بلبع: العدول بالمفارقة: التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد السابع، العدد الأول، إبريل ٢٠٢٢م، ص٤.

(٢) عن الفرق بين الإغراق والغلو، يُنْظَر: ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير، ص٣٢٣ وما بعدها.

(٣) عبد الهادي خضير: المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م، ص٧٧.

(٤) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٧٣.

(٥) السابق، ص١٧٤.

وقول آخر:

حَـمَـلَ الضَّـرطَةَ للـريِّ. . . عـلى ظَـهْرِ الـبـريد[١]

هكذا تبارى الشعراء في الغلو، في وصف ضرطة وهب، مدركين أن هذا الغلو من العناصر الأسلوبية المهمة جدًّا في التركيز على المعنى المقصود التأثير به في نفوس المتلقين

وفي النص السابع:

نرى المبالغة/الغلو في صورتين: تعديد ثلاثين عيبًا في البغلة، ومستحيل أن يجتمع مثلها في بغلة واحدة، يسردها الشاعر في ستة وثلاثين بيتًا، ثم عدد من الكنايات، كالتي في قول أبي دلامة:

وتفزع من صياح الديك شهرًا. . . وتنفِرُ للصغير وللخيالِ[٢]

وقوله:

وألفُ عصا وسوطٍ أَصْبَحِيٍّ. . . أَلَذُّ لها من الشرب الذُّلالِ[٣]

وفي النص الثامن:

نجدها في قول أبي غلالة المخزومي في وصف حمار طيَّاب:

فأمَّا الشَّعير فما ذاقه. . . كما لا يذوق الطعامَ المـلَك[٤]

وقوله:

لو شَمَّ ريحَ الشَّعير شَمَّا. . . من غيرِ أَكلٍ لقال: حَسْبِي[٥]

---

(١) السابق، ص١٧٤.

(٢) السابق، ص٢٩٥.

(٣) السابق، ص٢٩٥.

(٤) السابق، ص٣٠٠.

(٥) السابق، ص٣٠٠.

وفي النص الرابع عشر:

تقوم المفارقة على أسس، منها المبالغة في شيئين: تشبيه الأثافي بثلاث كنقط الثاء من نقط الحبر، في قول أبي نواس:

يبيتها للمعتفي بفنائهم. . . ثلاثٌ كنَقْطِ الثاء من نُقَطِ الحِبْرِ[١]

والكناية عن غاية الضآلة في البيت الثالث:

إذا ما تنادوا للرحيل سعى بها. . . أمامهم الحَوْلِيُّ من وَلَدِ الذَّرِّ[٢]

ولا شك في أن المفارقة تحتاج–في صناعتها–إلى مهارة لغوية خاصة، وإحكام دقيق للعلاقة بين الشكل والوظيفة، أو بعبارة أخرى: بين المقام والمقال[٣]. وفي ضوء هذه الصياغة الفنية الثرية دلاليًّا، يمكن تصور وظيفة المفارقة ودورها، وهو ما برع فيه أبو نواس هنا.

وفي النص الخامس عشر: الغلو ماثلٌ في وصف الشاعر دينار يحيى بقوله: "فوجدته أخفى من الكتمان"[٤] .

٥–التشبيه:

تتحقق مفارقة التشبيه بأن يوحي المبدع بوجود شبه بين شيئين متناقضين[٥]، "هذه الصورة هي التي تضعنا أمام مفارقة مبنية على لمحات تشبيهية للقطة واقعية تكون مصدرًا لشعرية النص وتوجهه، وكلما زادت حدة

(١) السابق، ص٤٩٢.

(٢) السابق، ص٤٩٢.

(٣) د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص٩.

(٤) الثعالبي: ثمار القلوب، ص٥٣٩.

(٥) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥١.

الصراع وتضاعفت بين طرفي التشبيه دلاليًا، واختل المنطق بينهما حصلت المفارقة"[١]. ومن التشبيهات التي شكلت المفارقة في النصوص محل الدراسة:

في النص الخامس، قول أبي علي البصير:

كانت الضرطة المشومة نارًا. . . أُضرمت في جوانب البلدان[٢]

وقول عيسى بن القاشاني:

وقينةٌ شمطاءُ مضمومةٌ. . . في سنِّ نمرود بن كنعان

إذا تُغنينا حكى صوتُها. . . ضرطَةَ وهبِ بن سليمان[٣]

وهو تشبيه عُقِد بين متباعدين فأتى طريفًا مبتكرًا

وفي النص السادس اتكاء على ستة تشبيهات مبتكرة: بالبقلة، والخريطة الخالية من الكتب، والحية المطوقة، والعجوز التي حناها الكبر، وقوس النَّدَّاف الذي بلا وتَر. أما التشبيه السادس فتمثيلي سر جماله الحركة المركبة ، في الفرخ ابن اليومين، الذي برفع رأسه إلى أبويه ثم يدركه الضعف[٤] .

وفي النص الثامن، يقابلنا التشبيه المقلوب(المعكوس) في قول أبي غلالة المخزومي عن حمار طيَّاب:

قدْ دَقَّ حتى رأيتُ الخيطَ يُشبهه. . . من الهُزَالِ وعينُ الضُّرِّ تَبْكيه[٥]

(١) هادي عبد الحسن لعيبي: المفارقة في شعر أبي الشمقمق، ص٢٣٨.

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٧٣.

(٣) السابق، ص١٧٤.

(٤) السابق، ص١٨٩، ١٩٠.

(٥) السابق، ص٣٠١.

"والتشبيه المقلوب كله منطوٍ على مفارقة لأنه يخالف المعهود"[١]

وفي النص الخامس عشر: التشبيه حاضرٌ أيضًا في قول الشاعر: "فكأنه روح بلا جثمانِ"[٢]

٦-الاستعارة:

لا يمكن القول بأن كل استعارة تصنع مفارقة؛ وإلا كنا ملزمين بأن نعد كل ما أنتجه الإنسان من استعارات من باب المفارقة، وهذا غير منطقي، ولا مقبول؛ لأن من الاستعارات ما لا ينظر في أصل منشئه إلى جانب التضاد، ولا يروم خلخلة ذهن المتلقي بما يفاجئه، أو يمنحه معنى السخرية والتهكم، فضلاً عن الألم والتحسر[٣]. والاستعارات في نصوص الدراسة معظمها مكنية، سرُّ فاعليتها التشخيص، المتمثل غالبًا في مخاطبة ما لا يعقل، أو وصفه بإحدى صفات العقلاء، وأبرزها النطق والكلام، كما سيأتي:

٧-التشخيص:

التشخيص يضخ في شرايين المدركَات دم الحياة، وهذا الطيلسان "أمرضته الأوجاعُ فهو سقيمُ"[٤]. ومنه في نصوص الدراسة: "قال سبحانك محيي العظام وهي رميمُ!"-"يغني لإبراهيم حين لبستُه"-"مثل السقيم بَرَا

(١) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥١.

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب، ص٥٣٩.

(٣) مولود محمد زايد: بنية المفارقة، ص٦٨.

(٤) الثعالبي: ثمار القلوب، ص٤٨٣.

فراجعه. . . نكسٌ وأسلمه إلى السَّقَمِ"[١] ، وتوجيه الخطاب إلى ما لا يعقل على سبيل الاستعارة المكنية:

يا طيلسانَ ابن حربٍ قد هممتُ بما. . . يُودِي بجسمي كما أودى بكَ الزمنُ[٢]

أو بافتراض أنه إنسان:

لو أنه بعض بني آدمٍ. . . كان أسيرَ الله في الأرضِ[٣]

ولا شك في أن في التشخيص دعمًا قويًّا لبناء المفارقة؛ إذ يدخل به الشيء موضوع المفارقة إلى حيز ما يألفه القارئ/المستمع، ويأنس به، حيِّزَ البشر وحياتهم، كما أنه عند التأمل يتضح أنه لا مُضحك إلا فيما هو إنساني، وإذا ضحكنا من شيء أو حيوان في نص أدبي، فإننا لا نضحك من ذاته، وإنما من الشكل الذي صاغه فيه الأديب، ولشبه فيه بالإنسان أو الطابع الذي يسمه به إنسان، أو الاستعمال الذي يستعمله فيه[٤] .

٨-التهكم:

لغة:

تهكم على الأمر، وتهكم بنا: زَرَى علينا وعبث بنا. وتهكم عليه: اشتد غضبه. والمتهكم: المتكبر. والتهكم: التهدم في البئر ونحوها، والاستهزاء، والطعن المتدارك، والتبختر، والغضب الشديد، والتندم على الأمر الفائت، والمطر الكثير الذي لا يُطَاق، والتغني[٥]. والأرجح أنه

---

(١) السابق، ص٤٨٣، ٤٨٤.

(٢) السابق، ص٤٨٤.

(٣) السابق، ص٤٨٣.

(٤) هنري برجسون: الضحك، ترجمة سامي الدروبي، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م ص١٤.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة(هـ-ك-م) ، ويُنْظَر أيضًا: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، جـ٢ ص٢٣١.

مأخوذ في علم البديع من معنى الاستهزاء الذي يُفضي إلى ثلم في صورة الخصم كالثلم والتهدم في جدار البئر.

واصطلاحاً:

الخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في مكان الوعيد، والعذر في موضع اللوم، والمدح في معرض الاستهزاء، ونحو ذلك". والفرق بينه وبين الهزل الذي يُراد به الجد أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل، وهو ضد الأول؛ لأن الهزل الذي يراد به الجد يكون ظاهره هزلاً وباطنه جداً، مثلما في قوله تعالى:﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٣٨) [١]، ولا شك في أن أبلغ الهجاء ما جرى مجرى الهزل والتهافت، وكان بين التصريح والتلميح، وقربت معانيه، وسهل علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس[٢]

وفي النص الحادي عشر (عن قصة دجاجة أبي الهذيل)، يلاحظ الباحث غياب معظم مكونات المفارقة أو أدواتها التي عرض لها آنفًا- التنكير، والتضاد، والاقتباس. . . . إلخ-أو كلها، في مقابل حضور واضح للتهكم[٣]

(١) يُنْظر: ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير، ص ٥٦٨- ٥٧٠، والسيوطي: شرح عقود الجمان، ص ١٣٠، د. أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، جـ٢ ص ٣٧٥-٣٧٧.

(٢) القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٣٠.

(٣) يُنظَر: الثعالبي: ثمار القلوب، ص٣٨٥.

بما يُغري بالقول إن ثمة علاقة وثيقة بين كون المفارقة درامية، وحضور التهكم أداةً فاعلة في بنية المفارقة.

٩-السلوك الحركي:

وفي وصف أشعب ما صنعت شاته ما يُدخل النص العاشر في باب ما يسميه بعض الدارسين "مفارقة السلوك الحركي"، ويعنون به حركة عضو من أعضاء الجسد، أو الجسد كله. وهذا السلوك الحركي الغريب في دوافعه ومسبباته، يتشكل رسمًا لغويًّا حصيلته صورة تغني عن المعنى غير المباشر، الذي يتضاد مع حقيقة الشيء وأصله، فينتج عن ذلك التضاد معنى الغرابة مع السخرية، ويعد ضروريًّا ومتممًا للتحليل اللغوي للخطاب[١].

(١) يُنْظَر: د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص١٤٥، وهاشم أحمد العزام: المفارقة في القرآن الكريم، ص٤٤.

المبحث الرابع: غايات المفارقة ووظائفها

لا يستطيع الباحث أن يحكم على المفارقة في النصوص محل الدراسة بأنها كانت سلاحًا هجوميًا يتمثل في الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد والضغط الذي لابد أن ينفجر، وليست أيضًا ستارًا يشف عما وراءه من هزيمة الإنسان، ولا أنها ربما أدارت رأسها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسًا على عقب، ولا يمكن أن نقول إنها تهدف إلى إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية لنرى ما فيه من تناقضات وتضاربات تثير الضحك(١). لكنها قد تكون–كما يرى ميويك–ذات وظيفة عامة إصلاحية، هي أنها أداة تحفظ توازن الحياة، وإعادتها إلى الجادَّة، حين يختل توازنها بأن يحملها المرء على محمل الجد المفرط، أو لا يحملها على ما يكفي من الجد(٢)، ثم إن "وظيفتها تتمثل في تعميق حالة الانفصال بين الواقعية و المثالية"(٣)

ويبدو هذا من المفارقة التي في النص الثالث مثلاً، التي نرى فيها شهر بن حوشب يختلس خريطة فيها دراهم؛ فكثيرًا ما نعلق آمالاً عريضة على شخصية ما، ونراها أهلاً لتحمل المسئولية، فنمنحها ثقتنا، ثم نفاجأ بأنها أبعد ما تكون عن مستوى المسئولية، وآخر من يحرص عليها "ولو أننا استسلمنا لهول المفاجأة لكانت النتيجة خطبرة، ويمكن أن تقضي على ثقتنا في الآخرين؛ لذلك تشعر النفوس بحاجتها إلى أن تتعالى على الموقف، وأن تستخف به، وكأنها بذلك تنزل الشخصية التي خيبت آمالها إلى مكانها الطبيعي، وتعدل عن موقفها الأول، وتحاول أن تمحوه، وتتجاهل وجوده كأن

---

(١) كما رأت د. نبيلة إبراهيم جانبًا منها، يُنظر: المفارقة، مجلة فصول، ص١٣٢، ويُنظَر أيضًا: د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص١٦.

(٢) د. سي. ميويك: المفارقة وصفاتها(ضمن موسوعة المصطلح النقدي) ، ص١٢٥.

(٣) نبيلة إبراهيم: ص١٣٦.

لم يكن، وقد تتصالح مع النتيجة كأنها جاءت منطقية بالنسبة إلى صاحبها، وهكذا تصبح هذه الشخصية مثارًا لأساليب السخرية بكل أنواعها وتندراتها في كل مكان على المستوى الضيق الخاص أو على المستوى الجماهيري، بحسب ظروف الموقف، وبيئته، وحجم البيئة ومستواها"[١] .

وخطاب الأديب في نصوص الدراسة الراهنة لا يرقى إلى أن يكون نظرة وجودية عميقة كتلك التي يصفونها، والأولى أن يُقال إنها أتت–في عمومها–هنا في سياق احتفالي، وعلى سبيل الطرفة[٢]، لكن هذا لا يعني على الإطلاق أنها لم تكن لأهداف، أو أنها لم تحقق تلك الأهداف، أو "أنها لم تترك القارئ إلا بعد أن رسمت على شفتيه ابتسامة هادئة تصحبها السخرية من الضحية"[٣] ؛ فالحق أنها فعلت ذلك، وأنها حققت أهدافها، وقامت بوظائفها في النصوص محل الدراسة، وعلى رأس تلك الوظائف ما يأتي:

أ–الغاية الفنية الأدبية، المتمثلة في استعراض القدرات الأدبية واللغوية والثقافية على أكثر من مستوى:

وهو ما تحقق مثلاً في النص الخامس–الذي كانت للمفارقة فيه أكثر من وظيفة وغاية–الذي كانت للمفارقة فيه وظيفة فنية؛ إذ فتحت باب موضوع شعري جديد فيه طرافة، حتى قال ابن الرومي:

---

(١) د. حامد عبده الهوال: السخرية في أدب المازني، ص٢٧.

(٢) نبه إلى إمكان حدوث هذا د. عيد بلبع: العدول بالمفارقة: التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد السابع، العدد الأول، إبريل ٢٠٢٢م، ص٤.

(٣) نبيلة إبراهيم: ص١٣٢.

ما لقينا من ظَرْفِ ضَرْطَةِ وَهْبٍ. . . تركَتْ أهلَ دهرنا شعراءَ[١]

"إذ إن المفاجـأة والدهشـة عنصـران مهمـان فـي تكـوين المفارقـة؛ فالمفاجأة ولحظة هتك الحُجب عند المتلقي، تُظهر العالم المألوف برؤية جديدة؛ لكونها صياغة جديدة لعالم الشاعر والمتلقي في آن واحد. ثم إن التوقع والانتظار هما جوهر التقنية الجمالية للمفارقة؛ فكلما زاد الفرق بين ما يُتوقَّع حدوثه وبين ما يحدث فعلاً تبدو المفارقة أكثر وضوحًا وأعمق أثرًا"[٢].

وغرض المفارقة في النص الثامن(حمار طياب)أدبي، ووظيفتها فنية خالصة. وقد تحقق لأبي غلالة ما أراد، وذاعت مقطوعاته، واشتهر بما قال في حمار طيَّاب، واقترن ثلاثتهم في وجدان أهل ذلك العصر، يقول الثعالبي: "ولأبي غلالة في وصفه بالضعف، والتوجع له من الخَسْف، نيِّف وعشرون مقطوعة مُضَمَّنَة. . . وحكى محمد بن داود الجراح، عن جعفر رفيق طَيَّاب، أن حمار طياب نَفَق فمات طياب على أثره بأسبوع، ثم مات أبو غلالة على أثر حمار طياب، وكان ذلك من عجيب الاتفاقات"[٣] .

وكذلك الغرض أدبي فني في النص الثالث عشر(طيلسان بن حرب)، الذي استثمر الحمدونيَّ الشاعر موضوعه إلى الحد الأقصى، حين نسج على منوال أبي حُمْرَان السُّلَمِيّ في وصف طيلسان له قديم، ونظم شعرًا يصف فيه طيلسان محمد بن حرب المُهْدَى له، وبرع فيه، "وانثالت عليه المعاني، حتى قال في وصف الطيلسان قرابة مائتي مقطوعة، ولا تخلو واحدة منها من معنى بديع، وصار الطيلسان عُرْضَةً لشِعرِه، ومثلاً في البِلَى

(١) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٧٣.

(٢) كمال رقيق: المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، ص٦٠، ٦١.

(٣) الثعالبي: ثمار القلوب، ص٢٩٩.

والخُلوقَة"[١] ؛ استثمارًا لكون "المفارقة بتشابكها واشتراكها مع غيرها من الظواهر التعبيرية تسهم في صنع فرادة النص الأدبي وإيقاظ المشاعر الجمالية فينا"[٢] .

ب-والبعد السياسي:

لعل أبرز ما للمفارقة من وظائف، وظيفتا: الإدانة و المرح[٣]، وربما حدث هذا في سياق تشويه صورة الخصوم السياسيين أو الفكريين[٤]، وتكون وظيفة المفارقة في هذه الحالة سياسية إعلامية، كما في النص الخامس؛ فالهدف منها فيه الحط من رجل مشهور ذي نفوذ في الدولة العباسية، هو وهب بن سليمان صاحب بريد الحضرة(عاصمة الخلافة)، ومن كان في مثل هذا الموقع المهم، فهو عادة ذو نفوذ وسلطة لا يمكن تحديها بشكل مباشر، وإنما عبر وسائل أدبية، كالمفارقة المتضمنة سخرية، وبما يضمن أن تسري الوصمة بين الناس كالنار في الهشيم، فلا يستطيع لها وهب دفعًا بعد أن"طار خبرها بالآفاق، ووقع في ألسن الشعراء، وصارت مثلاً في

(١) يُنظَر: الثعالبي: ثمار القلوب، ص٤٨٣.

(٢) ساسية عيساني: شعرية المفارقة عند أبي تمام، مجلة منتدى الأستاذ، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، الجزائر، العدد الثامن عشر، جوان ٢٠١٦م، ص٣٤٥.

(٣) أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م، ص٥١.

(٤) ولهذا علاقة بما يسميه التداوليون تهديد الوجه وعكسه: الحفاظ على الوجه، أو: على ماء الوجه. يُنْظَر: جورج يول: التداولية، ترجمة د. قُصَيّ العتَّابيّ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١ ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٩٩-١٠١.

الشهرة"[١]. وقد حققت المفارقة هدفها، وتجرأ الناس على وهب، حتى وهب بالهجوم المباشر في المجالس العامة، كمجلس ابن أبي عون، ومجلس المهدي[٢] .

جـ-والغاية الاجتماعية:

التي تتمثل في تصوير ما شاع في عصرها من ظواهر اجتماعية سلبية، منها الرشوة-في مقابل التأكيد على المعاني الإيجابية، عبر ضرب الأمثال بممتلكات شخصية أخرى في سياقات مختلفة[٣]-كما هو واضح من النص الثاني، الذي فيه تأكيد على نبذ ذلك السلوك الاجتماعي المرفوض، الذي يفارق مبدأ الأمانة، متمثلاً في صب الزيت في قنديل سعدان، الذي صار مثلاً يضرب لما اشتهر به من رشوة "والمجتمع من هذه الناحية يقظ ومنتبه إلى حد القسوة أحيانًا، حتى إنه صاغ من القصص الساخرة ما أخذت شكل المثل السائر، وأصبحت معروفة لدى الجماهير، تحمل شحنات من الماضي، وتذكر من يتصل بهم الأمر حتى لا يقعوا تحت طائلة المثل"[٤] .

إنه إذن نوع من الضبط الاجتماعي عبر وسيلة أدبية فنية، وهذا أقوى من سلطة القانون وسطوة الدولة.

---

(١) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٧٢، وعن هذه الوظيفة يُنْظَر: د. حامد عبده الهوال: السخرية في أدب المازني، ص٣٤، ٣٥.

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٧٥.

(٣) كسيف عليّ-رضي الله عنه-في الخبر رقم ١٠٣٣ ص٤٩٩، وصمصامة عمرو، في الخبر رقم ١٠٣٤ ص٤٩٩، وقوس حاجب، في الخبر رقم ١٠٣٩ ص٥٠٢، وقُرط مارية، في الخبر رقم ١٠٤٨ ص٥٠٦.

(٤) د. حامد عبده الهوال: السخرية في أدب المازني، ص٢٧.

ومن قبيل النقد الاجتماعي ما تقوم به المفارقة في النص الرابع(عنز الأعمش)؛ فالكاتب يُصرح في أوله بأنه: "يُضْرَبُ مثلاً فيمن يُنَزَّلُ منزلة لا يستحقها لغيبة من يصلح لها"[١]. والربط في النص الخامس(ضرطة وهب)، بين الضراط في المجالس، غير اللائق من الناحية الاجتماعية، والبخل الذي هو ضد الكرم، والكرم قيمة اجتماعية محورية في الثقافة العربية، بما يُكسب المفارقة مزيدًا من القوة والعمق[٢]. والبخل أيضًا في بؤرة الاهتمام، ومحور التركيز في النص الرابع عشر(قِدْر الرقاشيين) [٣]، وفي النص الخامس عشر(دينار يحيى) [٤] .

إضافة طبعًا إلى غرض التشهير بالرقاشيين ويحيى صاحب الدينار في هذين النصين. ومعلوم أن المفارقة "قد ننظر إليها على أنها سلاح هجومي فعَّال. وهذا السلاح هو الضحك"[٥] ، وأنها كثيرًا ما تكون "منطوية على المضحك والمبكي في آن واحد؛ ولهذا فهي قد تدفع القارئ إلى البسمة التي تختفي بمجرد أن ترتسم على الشفاه"[٦] ؛ من باب أن شر البليَّة ما يُضحِك!

وفي مثل هذه الحال، يكون الجمهور على وفاق ضمني مع المتكلم، وتهيؤ لاستقبال أطروحاته، والتفاعل معها "بل إنه بحكم اقتسامه لنفس نمط القيم، يعتبر أنه كلٌّ مستَهْدَف في اعتقاداته المشتركة، ومن ثم ازدياد صلته

(١) الثعالبي: ثمار القلوب، ص١٤٣.
(٢) السابق، ص١٧٣.
(٣) السابق، ص٤٩٢.
(٤) السابق، ص٥٣٩.
(٥) د. سيزا أحمد قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، ص١٠٦.
(٦) نبيلة إبراهيم: ص١٣٢.

بالمتكلم. وكلما زاد هذا الاعتقاد، أسهم في إبعاد المسخور منه، ومحاولة إقصائه، باعتباره حارس نمط آخر من القيم، مختلف ومنتَقَد من لدن الساخر وجمهوره"[1]. وربما يصحب هذه الغاية الاجتماعية بُعْد نفسي للمفارقة هنا، هو التعبير عن الغيرة، أو الحسد الكامن، أو الشعور بالنقص. . إلى غير ذلك من المشاعر والانفعالات.

د-تحقيق المنفعة المادية المباشرة:

كما كان من شأن أبي دلامة في النص السابع، حين اصطنع من المفارقة ما يضمن له استمالة من عرَّضَ بالاستجداء منه، في البيت الذي ختم به قصيدته بقوله:

فأبدلني بها يا ربِّ طِرْفًا. . . يَزِينُ بحُسْنِ مركبه جَمَالِي[2]

(١) أمينة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط١ ٢٠١١م، ص٣٣.

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب، ص٢٩٦.

خاتمة البحث

ها قد انقضى–بعون من الله ومنّ– هذا البحث في بلاغة المفارقة في أشعار المقتنيات في ثمار القلوب للثعالبي، وكان نطاقه الموضوعي خمسة عشر نصًّا من ذلك الكتاب، يمتزج فيها كلها تقريبًا الشعر بالنثر، وفق وصفيٍّ تحليليّ. في أربعة مباحث، بين مقدمة وخاتمة. المقدمة فيها حديث عن دواعي البحث، ومنهجه، وأقسامه، وتساؤلاته، والدراسات السابقة. ثم أربعة مباحث: أولها عن المفارقة لغةً واصطلاحًا، والثاني موضوعه أنواع المفارقة، أمَّا الثالث فيتناول بنية المفارقة(أركانها وأدواتها)، والمبحث الرابع في غايات المفارقة ووظائفها. ثم ها هي الخاتمة، وبها نتائج البحث وتوصياته، قبل قائمة المصادر والمراجع.

وأفضى البحث إلى عدد من النتائج، أهمها:

١–المفارقة سمة بارزة في أشعار المقتنيات، وفي النصوص محل الدراسة الراهنة عدد من أنواعها المعروفة.

٢–المفارقة اللفظية هي السائدة، بنوعها الثاني(مفارقة النقش الغائر)، بينما تغيبُ مفارقة الإبراز؛ فلا وجود لها في نصوص الدراسة–كما أنه لا وجود للمفارقة السقراطية، والمفارقة الرومانسية–وبعدها تأتي مفارقة التنافر البسيط، فالمفارقة الدرامية، ثم مفارقة الأحداث.

٣–اتضح من التطبيق العملي لمفهوم المفارقة على النصوص محل الدراسة، تداخل أنواعها إلى حد بعيد، ومن ثم يقترح الباحث اختزالها في أربعة أنواع فقط، هي: الإبراز ، والنقش الغائر، والمفارقة الدرامية، ومفارقة التنافر البسيط.

٤–ليست المفارقة محسنًا بديعيًا–لفظيًا أو معنويًا–يضاف إلى المعهود من فنون البلاغة العربية التقليدية، و إنما هي أسلوب في التعبير، ونمط في الخطاب، تتشكل صورُه الجزئية في إطار من استراتيجية الخطاب الكلية.

٥-وفي الوقت نفسه، ليست تقنية المفارقة غريبة عن تراثنا الأدبي والنقدي- فهي ماثلة فيه منذ القرن الهجري الأول-على الأقل-لكن دون اسمها وهيكلها الحاليين؛ فهي ماثلة مبثوثة في النصوص الأدبية والنقدية والبلاغة التراثية، وإن لم يتوقف النقد القديم عندها وينظر إليها على أنها وحدة اصطلاحية ومفهوم يشبه ما هي عليه الآن في الفكر والنقد الغربيين.

٦-استخدم الشعراء المفارقة استخدامًا يدل على وعيهم بإمكاناتها الجمالية، وقدرتها على التأثير في المتلقي ، وسخروا لهذه الغاية أساليب عدة، وعناصر أَلَّفَتْ بنية المفارقة الأساسية، منها ما هو نصي ، كالتنكير، والتضاد، والتضمين، والمبالغة، والتشبيه، والاستعارة، والتشخيص، ومنها أخرى غير نصية، كالسلوك الحركي، واستثمار الواقع الاجتماعي والثقافي عبر التهكم.

٧-لم تكن المفارقة في النصوص محل الدراسة موقفًا لأصحاب تلك النصوص من الواقع السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي، وإنما هي أقرب إلى أن تكون ذريعة فنية لمداعبة صديق، أو هجاء خصم، في إطار من استعراض القدرات الأدبية لصانعها.

٨-لم تكن المفارقة في النصوص محل الدراسة جزءًا من تجربة فنية صادقة، بل لعل العكس هو الصحيح؛ إذ يستشعر القارئ فيها التصنع والتكلف، خاصة أن المفارقة عمل عقلي في الأساس، بينما العاطفة من أخص خصائص الشعر، وزيادة دور العقل مضر بالشعر، ويسمه بالجفاف.

٩-التجديد في الموضوع من أهم ما يربط بين النصوص محل الدراسة، وكان لهذا صداه في المراحل الأولى من النقد العربي الحديث، حين أقبل رواد الاتباعية المُحْدَثة(النيوكلاسية)إلى محاكاة نصوص من هذا القبيل، ومعارضتها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

أحمد مصطفى المراغي:

١-علوم البلاغة . البيان والمعاني والبديع، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م

أحمد مطلوب:

٢-معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، جـ٣ مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ):

٣-تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

أمينة الدهري:

٤-الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط١ ٢٠١١م.

الثعالبي(أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري))ت٤٢٩هـ):

٥-ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

الجاحظ(أبو عثمان عمر بن بحر)(ت٢٥٥هـ):

٦-البخلاء، تحقيق د. طه الحاجري، سلسلة ذخائر العرب(٢٣)، دار المعارف، القاهرة، ط٧ د. ت

٧-البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، سلسلة مكتبة الجاحظ(الكتاب الثاني)، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧ ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

٨-رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة

الجرجاني(القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز)(ت٣٦٦هـ):

٩-الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

د. حامد عبده الهوال:

١٠-السخرية في أدب المازني، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م

حفني ناصف(وآخرون):

١١-دروس البلاغة، مع شرحه شموس البراعة، مكتبة المدينة للطباعة والنشر والتوزيع، كراتشي، باكستان، ط١ ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)(ت٦٨١هـ):

١٢-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د. ت.

الزركشي(الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر)(ت٧٩٤هـ):

١٣-البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

الزمخشري(أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد)(ت٥٣٨هـ):

١٤-أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن)(ت ٩١١م):

١٥-شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ١٩٣٩م

الشَّنْقيطي(محمد المحفوظ بن محمد الأمين التَّنْواجْويّ):

١٦-المداخل الأولية في علوم العربية، مكتبة الأقصى، الدوحة، قطر، ط١ ١٩٩٥م.

د. شوقي ضيف:

١٧-العصر العباسي الأول، سلسلة تاريخ الأدب العربي(٣)، دار المعارف، ط١٦

د. صلاح فضل:

١٨-بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة(١٦٤)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م

العلوي(يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني)(ت٧٤٩هـ):

١٩-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف بمصر، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

عمر فروخ:

٢٠-تاريخ الأدب العربي. الجزء الثاني: الأعصر العباسية، الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤ ١٤٠١هـ/١٩٨١م

ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)(ت ٣٩٥هـ):

٢١-مقاييس اللغة، راجعه وعلق عليه أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

القزويني(جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني)(٧٣٩هـ):

٢٢-التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، د. ت.

د. محمد العبد:

٢٣-المفارقة القرآنية. دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢ ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م

د. محمد عبد المنعم خفاجي:

٢٤-الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١ ٢٠٠٤م.

د. محمد العمري:

٢٥-البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مكتبة الأدب المغربي، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط٢ ٢٠١٢م

د. مراد وهبة:

٢٦-المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.

د. مصطفى الشكعة:

٢٧-الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٦ ١٩٨٦م

ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري)(ت٧١١هـ):

٢٨-لسان العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م.

ثانيًا: المصادر والمراجع المعربة

جورج يول:

٢٩-التداولية، ترجمة د. قُصَيّ العتَّابيّ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١ ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

جيل دولوز:

٣٠-عن المفارقة، ترجمة إدريس كثير، مجلة علامات، العدد الخامس عشر، ٢٠٠١م

د. سي. ميويك:

٣١-المفارقة وصفاتها، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، في موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد الرابع، بيروت، ط١ ١٩٩٣م

هنري برجسون:

٣٢-الضحك، ترجمة سامي الدروبي، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م

ثالثًا: الرسائل الجامعية

ضيف الله سعد حامد الحارثي:

٣٣-شعر الهجاء الاجتماعي في العصر العباسي من٢٣٢-٤٤٧هـ، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية-جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

محمد إبراهيم خالد الخوجة:

٣٤-المفارقة في أدب الجاحظ. البخلاء نموذجًا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

رابعًا: البحوث والدوريات

أثير محسن الهاشمي:

٣٥-آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، العدد الثاني عشر، نيسان ٢٠١٣م

ساسية عيساني:

٣٦-شعرية المفارقة عند أبي تمام، مجلة منتدى الأستاذ، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، الجزائر، العدد الثامن عشر، جوان ٢٠١٦م

د. ستار جبار رزيج السوفي:

٣٧-مفارقة التباين بين الذات والآخر: "المهجو"ابن هانئ أنموذجًا، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، العدد الحادي والثلاثون، حزيران ٢٠٢٠م

سليمة محفوظي:

٣٨-بلاغة المفارقة في الأدب العربي، مجلة مقاربات، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل، العدد الخامس عشر، ٢٠١٤م.

د. سيزا أحمد قاسم:

٣٩-المفارقة في القص العربي المعاصر، مقال بمجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد٦٨، ربيع ٢٠٠٦م

د. صالح بن عبد الله بن عبد العزيز الخضيري:

٤٠-المفارقة في النثر العباسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد التاسع، المحرم١٤٣٤هـ/نوفمبر ٢٠١٢م.

عبد الهادي خضير:

٤١-المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشئون الثقافية، المجلد٣٥، العدد الأول، ٢٠٠٨م

عمر سعيد باصريح:

٤٢-المفارقة في شعر البردوني، مجلة الآداب، كلية الآداب، ، جامعة الملك سعود، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني، جمادى الآخرة/مايو ٢٠١٣م.

د. عناد إسماعيل الكبيسي:

٤٣-شعر وشعراء الظرف والفكاهة إلى القرن الرابع الهجري، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد الثاني عشر، ١٩٨٥م

د. عيد بلبع:

٤٤-العدول بالمفارقة: التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد السابع، العدد الأول، إبريل ٢٠٢٢م.

فادية محمد عبد السلام:

٤٥-المفارقة في التراث النقدي، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، العدد الثامن عشر، الجزء الثاني، ٢٠١٧م

فاطمة عيسى جاسم:

٤٦-المفارقة في قصص مي مظفر، مجلة آداب ذي قار، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، العدد الثالث والعشرون، ٢٠١٧م

كمال رقيق:

٤٧-المفارقة بين المفهوم والاصطلاح، مخبر الدراسات الصحراوية، مجلة دراسات، جامعة طاهري محمد بشار، العدد الثالث، جوان ٢٠١٣م

محمد جواد حبيب:

٤٨-شعرية المفارقة في غورنيكا عراقية ، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العدد التاسع عشر، ٢٠١٣م

محمد بن منصور أبا حسين:

٤٩-لغة المفارقة، دارة الملك عبد العزيز، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، ربيع الأول ١٩٩٠م

مولود محمد زايد:

٥٠-بنية المفارقة ودلالتها: قراءة ثانية، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، كلية التربية الأساسية، جامعة ميسان، المجلد التاسع عشر، العدد التاسع والثلاثون، ٢٠٢٠م

د. نبيلة إبراهيم:

٥١-المفارقة، مقال بمجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، سبتمبر ١٩٨٧م

د. هادي عبد الحسن لعيبي:

٥٢-المفارقة في شعر أبي الشمقمق: دراسة تحليلية، مجلة الأطروحة-علوم اللغات وآدابها، دار الأطروحة للنشر العلمي، المجلد الثالث، العدد السادس، حزيران ٢٠١٨م

هاشم أحمد العزام:

٥٣-المفارقة في القرآن الكريم، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، المجلد العاشر، العدد الأول، ٢٠١٤م

هناء كامل علي إبراهيم:

٥٤-المفارقة خطابًا حجاجيًّا. دراسة في كتاب جنة العبيط للدكتور زكي نجيب محمود، صحيفة الألسن، كلية الألسن، جامعة عين شمس، العدد الخامس والثلاثون، يناير ٢٠١٩م

د. وجيه يعقوب السيد:

٥٥-المفارقة والرواية. دراسة في رواية"تلك الأيام" لفتحي غانم، سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، صحيفة الألسن، كلية الألسن، جامعة عين شمس، العدد العشرون، يناير ٢٠٠٤م

د. يوسف أحمد إسماعيل :

٥٦-بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد الثامن عشر، إبريل ٢٠١٦م